

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

سلسلة الأعداد الخاصة

1

فى كهوف دراجوسان

Looloo
www.dvd4arab.com

د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

أنا الدكتور (رفعت إسماعيل) الذى لم يكف عن الثرثرة يومًا ، والذى اعتدتم أن يحكى ويحكى ، فلا يسأله أحد إن كان نصابًا أم مجنونًا أم خبيرًا فعلاً فى عوالم ما وراء الطبيعة ..

هذا الكتيب يختلف كثيرًا عن باقى الكتيبات .. حلقة رعب ؟ بالطبع لا .. إنه ما يطلقون عليه بيضة الديك التى نعيش ونموت دون أن نراها .. لهذا لا رقم له ، ولن أحدد متى يقع بالضبط وسط ذكرياتى ..

أنت من يحدد نهاية هذه القصة ، وعليك أن تتحرك وسط كهوف (دراجوسان) المظلمة التى يبدو أن الشر كله اجتمع فيها .. ستختار مسارك .. ربما تحل معضلة ما .. ربما تجيب عن أسئلة .. ربما تحاول أن تفهم كلمات العراف الغامضة .. ربما تعتمد على حدسك فقط .. حظك فقط .. مللك فقط .. وأنا أؤمن أن الكثير من خيارات المرء مبعثها الملل والرغبة فى إنهاء وضع ما بأية طريقة .. أحيانًا نختار اللون الأزرق لأنه ليس أحمر .. ونختار رقم (٣) لمجرد أنه ليس (٥) .. ويقول الأمريكان إنهم انتخبوا (ريجان) رئيسًا للجمهورية لأنه ليس (كارتر) !

إن القصة متعددة النهايات ليست اختراعًا حديثًا ولم تأت من كوكب (بلوتو) ، ولم يفكر فيها مؤلف هذا الكتاب وهو جالس يتأمل فوق قمم (الهيملايا) .. لو زعم هذا فأخبروه أن هناك محاولات عديدة فى الأدب العالمى على هذا النمط ، لكن هذه هى

المحاولة الأولى فى العربية على قدر علمى ، وقد قدمها على نطاق مصغر فى موقع إنترنت صممه بنفسه وأطلق عليه (قصة ربع مخيفة) ، وقد نال نجاحًا لا بأس به ..

استغرقت القصة الحالية من المؤلف نحو ستة أشهر فى كتابتها ـ بلا أدنى مبالغة ـ لأن ترك هذا النص المعقد مدة يوم واحد معناه أن تحتاج إلى أسبوع لتستعيد الخيوط ، ولتتذكر من كان .. أين ليفعل ماذا !!

لو راقت لك هذه القصة أعدك بتقديم تجارب غريبة أخرى ليست بالضرورة على غرار هذا الكتيب .. هناك أفكار أخرى أكثر غرابة ..

لن أتدخل كثيرًا .. أنت من يحدد مصيرى .. وإننى لأتمنى أن تكون بارعًا وأن تختار جيدًا .. فكر بعناية لأن مصير شيخ وقور يتوقف على براعتك فى الاختيار .. يجب أن تحتفظ بقلم وورقة كى تتتبع الاحتمالات السابقة فلا تفقد أحدها ..

إذن فلنبدأ .. ولسوف تفهم أكثر فى الصفحات التالية ..

لا أتوقع منك أن تحب كهوف (دراجوسان) ..

لا أحد يحبها فى الواقع ..

فى نهاية تلك القرية الأسكتلندية تجد المدخل ، وقد أحيط بالحبال .. ووضعت عبارة (خطر) .. والناس هنا لا يتكلمون كثيرًا عن الكهف ، لكنهم يصرون على أنه عميق وعلى أنه يتوغل لمسافة لا بأس بها تحت الأرض ..

لقد رأيت هذا المنظر مرارًا من قبل ، كما سمعت تلك الأسطورة عدة مرات .. كلام كثير مبهم عن ذلك الشعب الذى كان يعيش تحت الأرض يحكمه ساحر طاغية اسمه (دراجوسان) .. والاسم ـ كما لا بد أنك لاحظت ـ مشتق من اسم (التنين ـسـذخشا) .. هذا الشعب نفسه لم يكن مجموعة من الملائكة ولا فاعلى الخير .. لقد كانوا يخرجون فى الليل ليقيموا احتفالات همجية .. والويل كل الويل لمن يجسر على مغادرة بيته من أهل القرية .. كان أهل القرية ينزوون فى ديارهم ويرتجفون ويصلون ، على حين تسمع من الظلام تلك الأصوات التى لا يمكن أن تخرج إلا من شياطين ..

وفى الصباح كانوا يعرفون أن هؤلاء القوم غادروا مخبأهم تحت الأرض .. يعرفونه بوضوح لأنه لا بد من جثة هنا أو هناك .. ربما قطرات دم .. ربما شلو ملقى قرب الكهف ..

لكن القرويين كانوا يشعرون بالذعر ، ولم يشته أحدهم أن يتخذ رد فعل إيجابيًا إلا حين جاء السيد (أرشيبالد ماكتاير) .. إنه

إقطاعى بريطانى يفى بمهام عمله بدقة : يستعبد الفلاحين ويهينهم ويسرق خيراتهم ، لكنه ـ أحيانًا ـ يحميهم ..

وقد قام الرجل بإغلاق مجموعة الكهوف هذه .. تعاون معه مائة جندى ، وفى النهاية صار من العسير أن ترى أية فتحة .. مرت أعوام ثم لاحظ القوم تلك الفتحة الوحيدة التى تتسع يومًا بعد يوم .. كانت هى المدخل إلى كهوف (دراجوسان) .. وقد ارتجف الناس هلعًا وتذكروا قصص الآباء ، لكنهم فى الوقت ذاته استبعدوا أن يكون هؤلاء القوم أحياء .. هم لم يكونوا إلا بشرًا بعد كل شىء ..

حسن .. أنت وأنا نعرف أنهم كانوا مخطئين ..

على كل حال لم يكن هذا هو شغلى الشاغل فى تلك الآونة .. كنت فى زيارة للقرية أتحقق من أسطورة معينة ليس هذا مجالها هنا ، حين زارنى صديق تعرفته فى هذه القصة يدعى (جيمس ويلارد) ، وهو يتمتع بكل تلك الصفات الجميلة التى يمكن أن تصف بها مخبولاً .. متحمس لكل شىء فى كل لحظة ، وآخر معلومة يعرفها فى أية لحظة هى الأهم والأخطر ..

إنه صحفى .. لكن له اهتمامًا خاصًا بكل ما هو غريب وغير منطقى .. قال لى فى حماس :

ـ « أنت تضيع وقتك فى كلام فارغ .. تصور أن تأتى هنا وترحل من دون أن تدخل كهوف (دراجوسان) .. لكم من أسئلة ستظل معلقة .. ولسوف تندم كثيرًا فيما بعد .. »

قلت له إن هناك أسرارًا فى الفضاء الخارجى وفى أعماق المحيط ، ولا يمكن أن أراها جميعًا فى عمرى البشرى المحدود .. وفوق كل ذى علم عليم ..

لكنه راح يؤكد بلا هوادة إنه تسلل إلى تلك الكهوف مرارًا من قبل ، وإن ما فيها لا يمكن تصديقه ما لم تره ..

ـ « إذن صف لى شيئًا .. »

ـ « لن تصدق ! »

هكذا دارت الأيام .. وهو لا يكف عن الإلحاح ، وأنا لا أكف عن تجاهله حتى جاءت اللحظة التى يقصم فيها ظهر البعير ، أو ينهار السد .. ما دام قد دخل مرارًا فلا خطر هناك ..

وهكذا وافقت وهكذا بدأت القصة ..

أعددت كل ما يلزم لدخول كهف .. أعنى بالطبع قلمًا وورقة .. ماذا أريد غير هذا ؟ دعك من باقى الأشياء لأننا سنحملها بالتأكيد .. أعنى أن الفتى سيحملها ..

لقد دخلنا كهوف (دراجوسان) .. فهل نعود ؟

انتقل إلى صفحة 21

لم نسقط على الأرض ولكن فى الماء ..

هذا أسوأ لأنى لا أجيد السباحة .. وقد رحت أقاوم بعنف متبعًا أفضل الطرق للغرق كما يقول مدربو السباحة ..

إلى أن شعرت بيد (ويلارد) تمسك بقفاى وتجذبنى إلى أعلى .. لا لم تسقط العوينات .. كانت تتشبث بأذنى بعناد ..

إنه يجذبنى إلى الشط وأنا لا أكف عن عمل كل ما يفعله الغرقى .. أصرخ .. أبصق الماء .. أسعل .. أعطس .. أضرب ..

وفى النهاية وجدنا أننا على الشط وأننا منهكان إلى حد لا يصدق .. لا تنس أنه كانت على ظهورنا حقيبتان ..

قال لى وهو يفرك عينيه :

ـ « لو فتحت عينى فوجدت أننا خارج هذه الكهوف اللعينة لاعتبرت أننا محظوظان .. »

ـ « أنت تحسن الظن بنا .. »

وفتح عينيه فأدرك أننا لسنا فى الخارج .. طبعًا لسنا فى الخارج .. لكننا نرى الآن ساحة متسعة تشبه كثيرًا ما رأيناه من قبل ..

هذا أقرب إلى معبد عتيق .. والسقف مجوف به ثقب كبير .. واضح أنه الثقب الذى هبطنا منه .. لكن الإضاءة هنا ممتازة .. بحيرة داخل معبد ؟؟

أما الجديد فى الموضوع فهو أن هناك قدمين تقفان بجوارنا .. قدمى أنثى ..

ترفع رأسك فتدرك أن هذه أنثى وأنها واقفة فى ثبات تنظر إليك ......

تعال إلى صفحة 183 لتعرف من هى

كانت الأسراب تتفرق .. كأنها غبار يتم إزاحته عن لوحة عتيقة .. وفى النهاية بدا لنا الهيكل العظمى الراقد لا يعبأ بشىء .. وقد طوى ساعديه على صدره بأسلوب المومياوات الشهير .. لم يعد بوسعك الآن أن تعرف ما كان يلبسه لدى دفنه .. لقد التهمت تلكم الكائنات كل شىء ..

لسبب ما كانت المخلوقات تختفى ، وقدرت أنها تغيب عبر تلك الفتحة التى لا تراها عيون البشر والتى توارى عبرها العراف ..

وأخيرًا صار بوسعنا أن نقترب أكثر ..

كان يحتضن درعًا صغيرًا .. درعًا عليه نقوش غريبة وتنانين وهراء من الذى اعتادته دروع القرون الوسطى .. وفوق الدرع حفرت عبارة باللاتينية .. قال (ويلارد) وهو يدقق النظر فى ضوء الكشاف :

ـ « اقذف درعى أيها الغريب .. ولتختر الأقدار مصيرك .. فإن هوت النقوش لأسفل فلتحرق هذا الصندوق الآن ، أما إن هوت النقوش لأعلى فلتحرق الصندوق الثانى .. أحد القدرين سوف يحرر كهوف (دراجوسان) من اللعنة .. »

جميل جدًا .. أحب التعليمات الغامضة .. هذا الهيكل العظمى ما زال بعد هذه القرون راغبًا فى التسلية ، وينتظر من يدخل ليلعب معه بالنرد .. ما رأيكم ؟ هل نفعل ؟ واضح أن علينا التمادى

حتى النهاية .. ربما كانوا يخدعوننا وربما كانوا صادقين لكن ماذا تفعل لو كنت مكانى ؟

هات قطعة عملة وألقها فى الهواء ..

لو سقطت العملة والكتابة إلى أعلى فعليك بصفحة 167

لو سقطت العملة والكتابة إلى أسفل فعليك بصفحة 266

صحوت من النوم منتعشًا إلى حد ما .. هكذا أنا حين لا يوقظنى أحد وإنما أترك وشأنى .. لقد امتصت خلاياى الراحة كما تمتص الأرض العطشى الصيب من بعد طول ظمأ ..

كان الفتى نائمًا كما هو فى وضع الضفدع أو العنكبوت لا أدرى بالضبط ، فنهضت مترنحًا إلى خارج الكوخ وألقيت نظرة ..

كان (ويلارد) جالسًا على الأرض مع الفتاة يتكلمان .. وذلك الضوء الأحمر يغلف كل شيء .. ما هو ؟ من أين يأتى ؟

دنوت منهما أكثر فالتفتت الفتاة ورأتنى ..

قال (ويلارد) وهو يتثاءب :

ـ « أنت نمت كالجثة ساعتين .. لم تتقلب .. »

ـ « لا بد أنى فعلت هذا .. »

وجلست وتثاءبت .. هل عندنا شاى ؟ للأسف يبدو أن الترموس قد فرغ .. كم أتوق للترموس الذى يتولد فيه الشاى ذاتيًا ..

قال (ويلارد) فى كياسة :

ـ « هل تسمحين لى يا (إلسا) بأن أكلم د. (إسماعيل) على انفراد ؟ »

ـ « أرجو أن تفعل .. »

نهض وأمسك بذراعى وانتحى بى جانبًا إلى حيث لا تسمعنا الفتاة ، وقال بصوت خفيض :

ـ « هذان الشابان غير صادقين .. »

ـ « لا أشك فى هذا .. لكن ما السبب ؟ »

ـ « لقد سألت الفتاة عن معالم الطريق التى قابلاها .. قالت إنهما جاءا من الممر الأيمن .. وأنا أعرف معالم هذا الممر .. واضح أنهما لم يرياه قط .. »

ـ « ولماذا يكذبان فى رأيك ؟ »

ـ « لا أعرف .. لكن فى هذا العالم المضطرب يمكن أن تفترض أن من يكذب عليك إنما يريد الفتك بك .. »

فكرت حينًا .. ثم قلت :

ـ « ربما كان من الحكمة أن نفارقهما .. إن لدينا من المتاعب ما يكفى من دونهما .. »

ثم دخلت الكوخ وألقيت نظرة على الفتى النائم .. يبدو مثال البراءة .. لكن من يدرى ؟

حملت حقيبتى الخفيفة ، وعدت إلى (ويلارد) وقلت للفتاة :

ـ « ستبقين هنا مع (جون) .. إننى و(ويلارد) راغبان فى معرفة ما بعد هذه البيوت .. سنعود خلال ساعتين سواء وجدنا شيئًا أم لم نجد .. »

قالت فى قلق :

ـ « لا أريد أن أبقى وحدى .. »

– « لست وحدك .. صديقك نائم بالداخل .. وليس من الحكمة أن نتركه وحده .. »

هكذا هزت رأسها فى استسلام وجلست كما هى على الأرض ..

على حين تقدمنا أنا و(ويلارد) نحو الأفق .. نحو نهاية صف المبانى ..

كان هناك اتجاه إلى اليمين واتجاه إلى اليسار .. إلى اليمين توجد صخور بركانية .. إلى اليسار تجد منحدرًا لا يمكنك أن تعرف ما وراءه لأنك لم تبلغ ذروته بعد ..

قلت لـ (ويلارد) :

– « ربما كان من الأفضل أن نجرب المنحنى .. فهو يتيح لنا إلقاء نظرة (بانورامية) كما يقول السينمائيون .. »

ورحنا نصعد المنحنى السهل قاصدين قمته ..

تعال إلى صفحة 57 لترى ما رأيناه

إذن ترى أن أتبعه ؟

الرأى رأيك فلا رأى لى ..

البقاء هنا مخيف والسير خلفه مفزع ..

لهذا استجمعت شجاعتى وبدأت أهبط فى ذلك الدرج المتآكل .. كان لى صديق من (بولاق) كان الصعود لبيته يقتضى تسلق درجات كهذه ، وفى ذات مرة دست فى الظلام على ذيل قـ....

واااااااااااااه ه ه ه !

هذا قط ! فعلاً !

غريب أن يوجد قط هنا ، لكن عواءه يدل على أنه قط جدير بهذه الأماكن ، وفيما بعد سأعنى بالجرح فى ساقى وآخذ حقن داء الكلب .. إن عواء قط كهذا يجعل داء الكلب واردًا بشدة .. لكن لا وقت لهذا الآن ..

من بعيد أرى (ويلارد) يتقدمنى عبر ممر مظلم ، لكن ضوء كشافه ينير الطريق فيبدو كبقعة نور تبتعد ..

لو كان ظنى صحيحًا فنحن تحت القرية الآن ..

كم من مرة عبر (دراجوسان) هذا الممر عائدًا لقصره أو ذاهبًا للكهوف التى حكمها ؟ ترى أية أفكار جابت ذهنه فى ذلك الوقت ؟ الفكرة وحدها تثير القشعريرة فى جلدى ..

ضوء كشافه ؟

(ويلارد) لا يحمل كشافًا !

هذا الضوء ينبعث من عينيه !

تعال إلى صفحة 60 لتعرف سر هذا الضوء

أرقد وأنظر إلى السقف ..

إنها كارثة حقيقية ..

ومن مكان ما خلف المحراب أراه ..

ذلك الرجل المسربل بالسواد .. هكذا كانوا يرسمون الموت فى رسوم القرون الوسطى .. يحمل فى يده .. بالضبط .. هذا الوغد دقيق .. يحمل المنجل الشهير ..

إنه يتقدم نحوى ويرفع المنجل .. لا أرى ملامحه برغم هذا القرب .. لكن لا مشكلة .. سوف ينتهى الأمر وينتهى فضولى معه ..

إنه يرفع المنجل ثم يهو ....

★ ★ ★

وهكذا جمع الجالسون أوراقهم .. (ماجى) العزيزة تبكى بلا انقطاع .. وقفت جوارها وحاولت أن أشرح لها أننى بخير .. لكن كيف ؟ أنا لست بخير ..

الجالسون يخرجون من الغرفة وأنا أصرخ بصوت لا يسمعه سواى : ـ « وماذا عنى أنا ؟ ماذا عنى أنا ؟ »

[تمت]

هنا مجموعة من الغيلان تلتهم شيئًا .. هل هو بشر ؟ لا .. حمدًا لله ! إنهم يزأرون وينظرون لك بعيون تشتعل نارًا .. إنهم ملتفون حول الشىء كأنهم أسود تلتف حول غزال ..

ماذا تريد ؟ (ويلارد) ليس هنا .. لماذا تضيع وقتك ؟ جرب احتمالاً آخر بسرعة ..

ما زالت عندك الصفحات 35 أو 48 أو 63 أو 93 أو 109 أو 123

إن كنت قد استنفدت محاولاتك الثلاث .. فعد إلى صفحة 31

طبعًا تسللنا فى الليل ..

لا أحد هنا يطيق تلك الكهوف ، ولا الكلام عنها .. أضف لهذا أن شرطى القرية عنيف جدًا مع من يقتربون منها .. إن المراهقين مولعون بالاقتراب من كل شىء ، لكنهم يهابونها كأى شىء اكتسب طاقة نفسية مريعة .. لو تكلمت عن بالوعة حمام برهبة لعدة أجيال لوجدت الناس يخشون الاقتراب منها ولا يعرفون لذلك سببًا ..

حرك (ويلارد) الكشاف فى وجهى ليعمينى ، ثم قال لاهثًا :

ـ « فلندخل .. »

ومد يده ليشد الحبل إلى أسفل ، وخطا فوقه كأنما هو افتتاح دار سينما جديدة .. سينما لا تعرض إلا أفلامًا قديمة مخيفة ..

هكذا فعلت مثله .. نظرت إلى الظلام البعيد حيث القرية الغافية .. وتوكلت على الله وخطوت .. .

أحاول أن أكون مختصرًا فى هذا الجزء من القصة ، لأننى دخلت الكثير من الكهوف فى حياتى .. المقدمات لا تهم لكن النتائج هى سبب كتابة هذه القصة ..

لكن أين تلك النتائج وأنا لا أرى يدى ؟ إلا أن الكشاف بدأ يسقط على الموجودات وبدأت الرؤية تتحسن .. هذا كهف كما هو واضح وفى نهايته فتحتان .. كانت هناك وطاويط .. الكثير منها

فى الواقع .. وقد راحت تحلق مبتعدة .. فقال (ويلارد) فى ذكاء :

ـ « لقد أزعجها الضوء .. »

كأنما الأحمق لم يتلق حصة أحياء واحدة فى حياته ..

كان هناك ممران .. واحد يتجه لليمين والآخر إلى اليسار ، فقال لى بصوت كالفحيح :

ـ « أنا جربت الممر الأيمن مرارًا .. هل تجربه الآن أم نجرب الممر الأيسر الذى لم أستعمله قط ؟ »

هل اخترت الممر الأيمن ؟ ادخل صفحة 41

هل اخترت الأيسر ؟ ادخل صفحة 78

وقفنا متصلبين لا نعرف ما نفعل أو نقول ..

كان هذا الكائن المريع يقف فوق سقف الكوخ الذى كنا فيه ، وكان ينظر لنا تلك النظرة المنومة التى تقتل بلا دماء .. كل هذه السنوريات تتعامل مع فرائسها كما يتعامل القط مع فأر ..

صرخت الفتاة فى هلع وهى تجرى مبتعدة :

ـ « إنه سيثب ! »

كان على أن أصدق كلمات العراف .. (عندما يزأر الأسد لا تعطه ظهرك ..) .. بالتأكيد هذا هو الحل الوحيد .. لا أعرف سواه وإلا نحن ضائعان فعلاً ..

هكذا وقفت أنظر له .. ساقاى تحاولان أن تفلتا .. كل خلية فى جسدى تحاول الركض فى اتجاه .. لو وثب هذا الشىء من أعلى فلسوف تكون النهاية سيهشم كل عظمة من عظامى قبل أن يستعمل أنيابه أو مخالبه ..

قلت لها آمرًا :

ـ « لا تتحركى ! »

شعرت بأنه يتأهب للوثب .. فتوترت .. لكنه عاد يسترخى .. العرق يتفصد من كل مسام جلدى .. إنه ضغط نفسى لا يوصف ..

كانت تنهنه من خلفى .. لكنى لم ألتفت لأن نصيحة العراف لا تحتمل لحظة رفق ..

إنه يلتفت ثم يعود للتحديق فى وجهى بعينين أقسم أنهما من نار .. يزأر بذلك الصوت المنذر الخفيض المخيف ، والذى يجعل أمعاءك تهتز .. من قبل اختراع (الدولبى) خلق الله لهذه الوحوش نظامًا شبيهًا فى حناجرها ..

ثم ـ وكأنما أنا أحلم ـ رأيته يبتعد .. غاب رأسه من فوقى .. فارتجفت .. ربما قرر أن يتخذ سبيلاً آخر للنزول ..

انتظرت أن يدور حول الكوخ ليثب على .. لن ألومه لو فعل ..

لكنه تأخر فى الالتفاف ..

تحركت ببطء على ساقين من المكرونة المسلوقة .. منذ متى يدق الدم فى أذنى بهذا الصوت العالى ؟

ونظرت عبر الفرجة بين الكوخين فرأيته يبتعد فعلاً .. هذا حق .. أنا واجهت الأسد فى مباراة تحدى نظرات وربحت .. لا أعرف السبب لكنه ليس قوة شخصيتى طبعًا .. واضح أن هذا الأسد مبرمج كى يهاجم من يخافه لا أكثر .. وقد كان العراف صادقًا ..

أخذت شهيقًا عميقًا ونظرت للوراء ..

كانت الفتاة واقفة حيث هى ..

لكن ..

منذ متى كان شعرها عاليًا بهذه الطريقة ؟ منذ متى كان وجهها مجعدًا كمرضى الجذام ؟ منذ متى كانت لها أنياب طويلة ؟ منذ متى كان لها صوت زئير خفيض مخيف ؟

قلت وأنا أتراجع للوراء :

ـ « أنت ؟ »

لكنى كنت قد خمنت .. وجه مريض الجذام هو ذاته وجه الأسد ، لذا كان العرب يسمون المرض قديمًا (داء الأسد) ..

إنها تتحول إلى أسد ..

قالت بصوتها الخفيض :

ـ « أنت لم تنفذ ما قاله العراف .. لقد أعطيت ظهرك للأسد وهو يزأر ! »

ـ « لكن .. الأسد كان فوق الكوخ .. »

أطلقت زئيرًا مفزعًا هو فى الواقع ضحكة ، وقالت من بين أنيابها :

ـ « كان هذا الأسد وهمًا .. إن (دراجوسان) أقوى مما تعتقد .. أنا مجرد حيلة للإيقاع بك ، وقد انتهى أمر صاحبك فى ظروف مماثلة .. »

والآن يغدو التحول أوضح .. لا يوجد أحمق واحد لا يعتقد أن هذه الفتاة تحولت إلى أسد فعلاً .. صحيح أنها ما زالت تملك جسد فتاة ، لكن رأسها وأطرافها قد تحولت لشىء آخر تمامًا .. (سخمت) إلهة الحرب عند الفراعنة فى صورة عصرية ..

ـ « أنت أعطيت ظهرك للأسد ! »

كان هذا خطأ وعلى أن أدفع الثمن !

ثم وثب على .. ويا له من مشهد مهيب ..

المشكلة أنه يحدث معك أنت .. أنت بالذات .. ..

هل يتحمل قلبى الواهن كل هذا ؟

ما هو تاريخ اليوم ؟

لو كان تاريخ اليوم يقبل القسمة على اثنين فانتقل إلى صفحة 27

لو كان تاريخ اليوم لا يقبل القسمة على اثنين فانتقل إلى صفحة 130

نعم .. هذا حق ..

إن هذا الثقل يجثم على صدرى .. مع كل هذه الانفعالات .. لا يوجد قلب يتحمل كل هذا خاصة وهو ملىء بالندوب .. إنها النوبة القلبية العظمى .. الأخيرة ..

آخر ما أذكره هو الوجه المشوه كريه الأنفاس على بعد سنتيمترات من وجهى ..

وهن شديد .. لا يوجد ألم .. وهن شديد شديد .. ثم ظلام ..

ثم لا شىء ..

★ ★ ★

فرغ الوسيط من جلسته وكف القلم عن الكتابة ..

كنت أقف هناك خلف ظهره أرقب الورقة .. لقد كتب القصة كلها .. لا أعرف لماذا تحمست لكنى أردت أن يعرف الجميع الحقيقة ..

قال لمن معه :

- « يمكن القول إن هذا هو كل ما يعرفه .. ما كان عليه وصاحبه أن يثقا بالفتى والفتاة .. »

ثم أردف وهو يغلق الدفتر المفتوح :

ـ « على كل حال هو كرر ما قلناه مرارًا .. يوجد سر مخيف فى كهوف (دراجوسان) ومن الخير لنا أن نبتعد عنها .. »

سأله العمدة وهو يراجع المذكرات التى تحكى كل شىء بالتفصيل :

ـ « هو إذن لا يعرف أين (ويلارد) ولا أين اختفى ؟ »

قال الوسيط وهو يشعل سيجارًا :

ـ « معلوماته فى هذا الصدد هى معلوماتنا .. لن يضيف جديدًا .. لقد دخل كهوف (دراجوسان) وتوغل كثيرًا جدًا ، ثم هاجمته تلك الفتاة (المستأسدة) .. لكنه مات قبل أن تفترسه .. »

أكمل ما حدث فى صفحة 154

قال لى (ويلارد) :

ـ « لقد عجزنا .. لن نعرف الحل أبدًا .. »

قلت مفكرًا وأنا أرمق اللغز :

ـ « كل هذه الألغاز القديمة يكون حلها (أفاتار) أو أى شىء من هذا القبيل .. »

قال لى باسمًا :

ـ « هل يمكنك أن تراهن بحياتك على هذا ؟ »

بالطبع لا .. إن وجدانى قد تشكل من قراءاتى وتجاربى ، بينما هؤلاء القوم من ثقافة كاملة الاختلاف .. كل ما يبدو لى بديهيًا هم لم يسمعوا عنه ، أو لم يفهموه ..

قال (ويلارد) وهو يتفقد ظهر الحجر :

ـ « حسن .. المفترض بنا أن نجد الحل .. نجمع عددًا من الأرقام ثم نقرع المجموع النهائى على هذه الأزرار .. كأنها آلة حاسبة تعود للقرون الوسطى .. »

ـ « هل من اقتراحات عبقرية ؟ »

فكر قليلاً ثم قال :

ـ « أقترح أن نجرب حظنا .. ما هو رقم حظك ؟ »

ـ « ليست لى أرقام حظ .. هناك أرقام لها ذكريات أليمة .. »

إذا كنت ترغب فى تجربة حظك بأى رقم ، فانتقل إلى صفحة 103

هكذا استدرت مبتعدًا لألحق به .. سمعتها تهتف بى وأنا أبتعد :

ـ « تذكر أيها الغريب ! الوقت ليس فى صالحك .. سبعة مواضع عليك أن تجده فى واحد منها ! لو أخطأت ثلاثة مواضع فلن تعيش لتجرب الرابع ! »

لم أسمع عن العينين فى مؤخرة الرأس إلا فى ملاحم (الردح) الشعبى فى الأزقة ، لكن هذه الفتاة تملك عينين تريان كل شىء من دون أن تلتفت وأحسب أننى وفقت حين اتخذت قرار الفرار منها ..

هكذا رحت أركض .. وأركض .. وركضى طبعًا هو ما تسميه أنت مشيًا ..

أرجو أن تتبع تعليماتى بدقة .. وبأمانة !!

أنت لن تخدع (برسيفون) !

سيكون عليك أن تختار صفحة من الصفحات العشرية : 20 أو 35 أو 48 أو 63 أو 93 أو 109 أو 123 .. جرب حظك .. اختر عشوائيًا أو بالترتيب ..

جرب مرة واثنتين وثلاثًا .. لو نجحت كان بها إما إن فشلت فلتعد لى فى صَفحة 31 لنلتقى مصيرنا !

فشلت فى العثور على (ويلارد) ..

لقد أنهكنى الركض وأغرق العرق ثيابى وعويناتى ..

أجلس على الأرض وأفكر ..

ليست كهوف (دراجوسان) مزحة كما هو واضح .. ليست لعبة أطفال .. متاهة هى مثل (اللابيرينث) الكريتانى الذى كان (المينوتور) يجول فيه ، لكنها كذلك متاهة فوق وتحت الأرض ، ومتاهةً فى الزمن .. متاهة تغير معالمها من حين لآخر .. أى أن مشكلتك لا تحل بخيط أو إصبع طبشور ..

أقسم أننى جئت هذا المكان من قبل ، وإننى لم أضل الطريق ..

لكنى لا أميز أى شىء من هذه المعالم الجديدة .. هناك محراب كبير ومنضدة حجرية يبدو أنها كانت مخصصة للتقدمات .. أية تقدمات ؟ طبعًا للأخوة (بلفاجور) و(عشتروت) و(أبراكساس) و(بعلزبول) ..

هناك هياكل عظمية وأنا لم ألق هياكل عظمية بعد ممر المومياوات ذاك ..

هنا خطر لى خاطر مقلق ..

ماذا لو كان الفتى والفتاة اللذان تركناهما صادقين ؟ هما وصفا أماكن غريبة لم يعرفها (ويلارد) فماذا لو كانت الأماكن ذاتها قد تبدلت ؟

من الصعب أن أعرف الحقيقة ..

أين أنت يا (ويلارد) ؟ أتراك وصلت إلى الحقيقة ؟ أتراك فررت ؟ أم أنت تحتضر الآن فى قاع بئر ؟

رحت أمشى فى الاتجاه الذى تركت الفتاة فيه .. من الجميل أنه لم يعد هناك بحر .. لقد تحول المشهد إلى أخدود طويل لا أعرف نهايته ..

إذن من المستحيل أن أجدها ما لم تجدنى هى .. والموقف كالتالى : دليلى الوحيد أضعته .. وصديقى الوحيد تركته ..

« أنت جئت إلى المحراب بنفسك ! »

من قال هذا ؟ لا أفهم .. هذا الصوت يتردد فى عقلى ولا أسمعه من شخص سواى ..

« أنت جئت إلى المحراب بنفسك ! »

صوت يتردد فى ذهنى .. هناك من يكلمنى بالتخاطر أو يوحى إلى بفكرة معينة ..

« أنت جئت إلى المحراب بنفسك ! »

أشعر بأننى مصير إلى ذلك .. لا أعرف السبب لكنى راض .. يبدو أنه يمنحنى الرضا كذلك ..

« أنت جئت إلى المحراب بنفسك ! »

أتجه إلى منضدة التقدمات العتيقة .. عليها دماء جافة صارت سوداء .. منذ مئات السنين منح آخرون أنفسهم هنا ، وأضاعوا حياتهم سدى من أجل الشياطين ..

أنا لا أريد لكن قدمى تتحرك بإيقاعها الخاص ..

« أنت جئت إلى المحراب بنفسك ! »

هناك وعاء كبير جوار المنضدة .. هناك مجرى محفور على شكل أخدود فى الحجر .. منحدر .. أعرف الهدف من ذلك .. هم

يريدون الدم .. لا أعرف فيم يريدونه لكن ما أكثر ما يمكن عمله بدماء عجوز يمنح نفسه بلا مقاومة ..

« أنت جئت إلى المحراب بنفسك ! »

أتقدم ببطء إلى المنضدة ، أرقد عليها . أنا لا أريد لكن كل خلية فى جسدى تريد .. ألست أنا خلايا جسدى ؟ إذن من أين يأتى هذا الفصام بين (أنا) و(هى) ؟

(هى) تدفعنى إلى الهاوية و(أنا) أحاول المقاومة .. لكن كيف يحيا العقل من دون أن يطيعه الجسد ؟

تعال إلى صفحة 19 لتعرف ما حدث

هنا بحيرة .. ربما كان هنا ؟

تقف بعض الوقت تفتش عن ذلك الأحمق .. ثمة شىء يرفع رأسه من وسط المياه ..

ما هذا بالضبط ؟؟ الإضاءة خافتة لكنك لا تحب ما تراه .. لا تريد تفاصيل أكثر ..

هل تريد رأيى ؟

واضح أن (ويلارد) الأحمق ليس هنا ..

لماذا لا تهرب ؟

ما زالت عندك الصفحات 20 أو 48 أو 63 أو 93 أو 109 أو 123

إن كنت قد استنفدت محاولاتك الثلاث .. فعد إلى صفحة 31

نعم ..

اللدغة سامة ..

هذا ما أرجحه لأن أعراض التسمم العام تظهر على (ويلارد) بسرعة .. لقد بدأ يرتجف وحرارته ترتفع .. ثم إنه أفرغ معدته ..

أشرط الجرح وأمتص الدم منه ؟ من علمك هذا السخف؟ السينما ؟ طبعًا هذه أمور لا جدوى منها وتعرضك للخطر والتهاب الكبد الفيروسى لو كانت فى فمك جروح .. الشىء الوحيد المجدى هو وضع ضمادة تمنع عودة الدم للقلب ، لكن هذا لا يصلح مع جروح الرأس وإلا كان على شنق الفتى ..

يا له من مأزق !

يا له من مأزق !

يجب أن أجره جرًا .. أعود عبر الممر ثم أجتاز الباب .. أتسلق إلى الصندوق .. أعود عبر الممر .. مستحيل ..

قال لى كأنما هو يسمعنى :

ـ « نعم .. أنت قلتها .. مستحيل .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ـ « أعنى ما فهمته أنت .. يجب أن تتركنى .. ربما استطعت العودة بنجدة .. »

أيّة نجدة يا أحمق ؟ يبدو أنه لم يفهم بعد حقيقة أن الحية سامة ..

قلت له فى عصبية :

ـ « هلم .. يجب أن تساعدنى .. لن تبقى هنا .. أنا فعلاً عاجز عن حملك ، لكنى كذلك لن أتركك .. »

ـ « لا تكن طفلاً يا (رفعت) .. ليس هذا فيلمًا حربيًا عن مدى ترابط الجنود وتماسكهم .. إما أن أهلك وحدى أو نهلك معًا .. لا يوجد خيار ثالث .. »

نظرت حولى شاعرًا بالعجز .. الدمع بدأ يحتشد فى عينى غيظًا وقهراً .. لا بد من حل ..

المومياوات تحدق فى من رفوفها المتراصة فوقى .. تبًا له من مكان ! .. ضيق .. عفن .. كريه ..

ما الذى ألقى بهذه العلب هنا ؟ علب من عاج قديم عليها نقوش لاتينية .. قربتها من (ويلارد) وسلطت الكشاف عليها وسألته :

ـ « ما معنى هذا ؟ »

كانت الكلمات واضحة .. إننى لست حمارًا فى اللاتينية لكنى خشيت ان يفوتنى شىء .. وبرغم اضطراب ذهنه فقد قرأ (ويلارد) المكتوب :

- « (موهول) .. (سهكيال) .. (أرمكين) .. ما معنى هذا ؟ »

هنا راح ذهنى يدور دورته المجنونة .. محرك السيارة المحموم الذى يحاول إخراجها من الوحل ..

قلت له :

- « هذا العراف .. الذى قابلناه منذ ساعات .. قال شيئًا فى آخر نبوءته أو وصيته .. هل تذكره ؟ »

- « مستحيل .. »

أنت محظوظ لأنك تستطيع العودة لتتذكر .. أما أنا فعلى أن أحاول .. أحاول ..

تذكرت ..

(سحكيال) .. قالها العراف مرتين .. فما معنى هذا ؟

مددت يدى إلى العلبة التى تحمل ذات الاسم فوجدت أنها تحوى مسحوقًا رمادى اللون .. نظرت إلى (ويلارد) فى ارتباك وقلت :

- « ما رأيك ؟ »

هتف فى جنون :

- « لو كنت تعتقد أننى سأبتلع مسحوقًا عمره مئات الأعوام وجدته بين المومياوات فأنت مخطئ ! »

هذه المرة صعد الدم إلى رأسى .. قلت ضاغطًا على أعصابى :

- « ألا تفهم يا أحمق ؟ هذه الحية كانت سامة وقد بدأ السم يسرى فى عروقك .. بعبارة أخرى أنت لا تملك ترف الاختيار .. يجب أن نثق فى هذا العراف .. »

- « ولماذا يضعون الأفاعى وترياقها فى مكان واحد ؟ »

- « لأن .. لأن .. »

وقبل أن أكمل فتحت فمه عنوة ودسست فيه المسحوق الرمادى الكريه .. راح (يسف) المسحوق فى اشمئزاز ، وقال :

- « وماذا لو كان هذا مسحوق حرق المومياوات أو .. ؟ »

- « أرجو أن يكون كذلك .. فهذا يجعله فعالاً ! »

ثم أكملت كلامي :

- « ربما كان (دراجوسان) يداعبنا .. أو هو لا يرغب فى أن نموت مبكرًا .. ولربما كان العراف فى صفنا وهو ملاكنا الحارس .. لا أدرى .. »

راح يلوك المسحوق فى فمه ، وهو ينظر للسقف ثم قال :

ـ « ليس سيئًا .. تصور ؟ له مذاق (التليو) .. »

ـ « لا أعرف مذاق التليو ولست مهتمًا بمعرفته .. هل تتحسن ؟ »

لا شك فى هذا .. إنه يتحسن ..

هكذا مرت علينا الدقائق .. ربما ربع ساعة أو أكثر قليلاً وأطفأت الكشاف بضع دقائق لأريحه ، ولبثنا حيث نحن ننتظر .. لا صوت إلا صوت أنفاسنا .. من حين لآخر أنظر من فوق كتفى لأتأكد من أن ثعبانًا آخر لا ينوى الوثب على .. كم من مرة شعرت بشىء مستدق يدس نفسه بين ياقتى وعنقى .. إنها (الأوفيديوفوبيا) .. داء الخوف من الثعابين الموجود لدينا جميعًا بدرجات متفاوتة ..

وأخيرًا رفع (ويلارد) رأسه وقال وهو يلهث :

ـ « لا أعرف إن كان هذا من حسن حظى أم سوئه ، لكنى تحسنت .. »

إذن اتجه إلى صفحة 64

إذن تفضل الممر الأيمن ؟

لا أعرف إن كان مثيرًا أم لا ..

لكن رغباتك أوامر ..

امش جوار هذا الجدار الخرب حتى تصل إلى صفحة 209

من جاء بك إلى هذه الصفحة ؟ أنا ؟ إننى نائم كما ترى .. لا تزعجنى .. كما إنه ليس من الذوق تأمل الأشخاص النيام .. كانت أمى ـ رحمها الله ـ تقول إن هذا حرام .. كانت لفظة (حرام) تتسع عندها لتشمل كل ما هو (ممنوع) أو (مذموم) أو (عيب) أو (غير لائق) ..

اتجه إلى صفحة 14 لأكون بكامل وعيى ..

نعم ..

أحسنت التفكير .. لقد قالت الفتاة :

ـ « تذكر أن (دراجوسان) يسبقك بخطوة .. ليست خطوتين .. »

بعد هذا نجد أن حرف B هو الأكثر تكرارًا يليه حرف U .. هذا معناه أن الكلمات مشفرة .. B يرمز لـ A دومًا و U يرمز لـ T دومًا .. والأخ (دراجوسان) يسبقنى بخطوة واحدة .. إذن هذه الشفرة البسيطة تقوم على استخدام الحرف التالى فى الأبجدية دائمًا .. (آرثر كلارك) استعمل شفرة مماثلة حين أطلق على الكمبيوتر اسم HAL ليرمز إلى IBM فلا تقوم الشركة العملاقة بخراب بيته .. هو استخدم الحرف السابق فى الأبجدية أما نحن فنستعمل الحرف التالى ..

إذن العبارة هى :

DRAGGOSAN

IS

THE

CAVE

(دراجوسان) هو الكهف ! ما معنى هذا ؟

وقفت أرتجف ..

فى هذه اللحظة لمحتها قادمة تجر ثوبها الطويل .. ووقفت أمامى وقالت :

ـ « أحسنت أيها الغريب .. أنت عرفت ما أراد الكهف أن يقوله لك .. »

قلت فى غباء :

ـ « لم يتضح شىء .. هذا مزاح سخيف .. ما معنى أن يكون (دراجوسان) هو الكهف ؟ »

قالت وهى تدور حولى حيث جلست على الأرض :

ـ « نعم .. منذ زمن قديم عرف بعض القوم أن هذا الكهف كان حى عملاق يتحرك ويفكر ويهدد ويحلم .. أنت رأيت معالم الطريق وعرفت كيف تتبدل كل بضع دقائق .. أنت رأيت الجدران تعلو وتهبط .. أتحسب أيها الفانى أن معالم الكهف كانت كذلك أمس ؟ أكانت كذلك منذ خمس سنين أو مائة ؟ وهذا الكهف لن يتركك تهرب أبدًا .. لقد قرر الاحتفاظ بك .. »

قلت لها فى حيرة :

ـ « وأنت ؟ وهؤلاء الذين عاشوا هنا من قبل ؟ »

ـ « بعضهم بشر تعاملوا مع الكهف واعتادوا طباعه ، وعرفوا أنه يطالب بطقوس وقرابين كى لا يلتهمهم التهامًا .. بالنسبة للبشر العاديين يظل (دراجوسان) بشريًا من لحم ودم ، لأنهم لم يقابلوه

قط ، ولن يتخيلوا شيئًا كهذا ولو بعد ألف عام .. بعض من تلقاهم هنا وهم صنعه الكهف .. »

ـ « وأنت وهم من هذه الأوهام ؟ »

ـ « ربما .. »

وضحكت بخبث .. قلت لها وأنا أنهض من على الأرض :

ـ « أنت قلت لى إن هناك سبيلاً للخلاص .. لهذا تبعتك .. والآن أنا أطالب باحترام ما وعدت به .. »

قالت فى رفق :

ـ « الأمر هين .. إن هى إلا معادلات بسيطة .. إن أجريتها يمكنك معرفة سبيل الخلاص .. »

معادلات عقلية ؟ سيكون هذا مسليًا ..

ـ « اختر عددًا ثلاثيًا .. »

قلت لها إن هذا سهل .. ماذا عن 500 ؟

ـ « لا يجب أن يحوى أصفارًا .. »

ـ « إذن هو 314 .. »

ـ « لا يجب أن يقل الفارق بين أول رقم وآخر رقم عن اثنين .. »

قلت لها فى غيظ :

ـ « إن عقلى منهك بالإضافة إلى أننى شخت على هذه الفوازير .. ليكن .. لنقل إن الرقم هو 357 .. »

ـ « لا داعى لأن تخبرنى بـه .. اختر أى رقم آخر يفى بهذه الشروط وكفى .. »

هكذا اخترت العدد الذى لا يحوى أصفارًا ولا يقل فارق أول رقم فيه عن آخر رقم عن اثنين ..

إليك الخطوات الآن كما طلبتها منى .. وأرجو أن تستعمل الورقة والقلم :

1 ـ رتب نفس الرقم عكسيًا .. (مثلاً لو اخترت 357 اجعله 753)

2 ـ لديك الآن عددان .. اطرح العدد الأصغر من الأكبر .

3 ـ الآن لديك عدد آخر هو الفارق بينهما .

4 ـ اجمع هذا العدد الأخير فى الفقرة 3 علـى نفسـه بعد عكس الأرقام .. (أى لو كان 431 مثلًا فاجمعه على 134) .

5 ـ الآن لديك عدد من أربعة أرقام .. اجمع أرقام هذا العدد معًا ..

كنت فى ذلك الوقت مشتت الذهن ..

هل تخفى عنى شيئًا ؟ هل تحتفظ لى بمفاجآت غير سارة ؟ من السذاجة أن أعتقد العكس ..

أين (ويلارد) ؟

لو كان الكهف حيًا كما تقول وكان هو (دراجوسـان) ذاته فإننى لن أقابل (ويلارد) ثانية ..

أخيرًا قلت للآنسة الساحرة إننى انتهيت .. إن الأرقام تصيبنى بالذعر طيلة حياتى .. وقد عانيت الكثير هنا برغم أنها ليست أكثر من عمليتى جمع وعملية طرح ..

قالت لى باسمة :

ـ « الآن لديك رقم .. أضف له رقم 13 .. ثم توجه للصفحة التى تحمل هذا الرقم .. أما إن لم ترضك النتيجة فتعال لى هنا وجرب رقمًا آخر .. »

ـ « ولو سئمت لعبة الأرقام هذه ؟ »

ـ « إذن عليك بصفحة 158 »

هل سمعت التعليمات ؟ إما أن أجرب الصفحة التي ظفرت برقمها من المسألة .. أو أجرب رقماً آخر .. بعد الانتهاء .. اذهب إلى صفحة 158

لا أثر لـ (ويلارد) ..

هناك صف من القبور .. هناك مجموعة من الفئران تتقاتل على شيء ما ..

أحد هذه الفئران العملاقة ينظر لك من بعيد .. حتى من هذه المسافة ترى الجشع فى عينيه .. إنهم يتقدمون نحوك .. ببطء لكن بتصميم وتهديد ..

ما زالت المسافة كبيرة لكنها ستضيق حالاً ..

لماذا لا تهرب معى ؟

ما زالت عندك الصفحات 20 أو 35 أو 63 أو 93 أو 109 أو 123

إن كنت قد استنفدت محاولاتك الثلاث .. فعد إلى صفحة 31

كيف جئت هنا ؟

لم تقدك أية صفحة إلى هنا .. وهذا يعنى أنك تختلس الجولات بين الصفحات ..

لا أمقت شيئاً فى العالم قدر مجيء عدم المدعوين إلى أماكن لا تخصهم .. سواء أكانوا من رفاقى أم من الذين لا اسم لهم ..

فعد أيها الغريب ..

عد من حيث جئت !

إننى مُرهق ..

أرجو أن تتركنى وشأنى بعض الوقت ..

سأكون فى حالة أفضل لو اهتممت بشئونك الخاصة .. لحظات من الراحة وقرصان من النيتروجلسرين من صفحة 141 ، ولسوف أستعيد لياقتى ..

لم أمت حتى هذه اللحظة فلماذا تصر على أننى أموت الآن ؟

إننى أحترق !

لا أعرف متى ولا كيف فهمت هذه الحقيقة ، لكن فهمها لم يستغرق إلا ربع الثانية .

بعدها غبت عن العالم ..

★ ★ ★

فرغ الوسيط من جلسته وكف القلم عن الكتابة ..

كنت أقف هناك خلف ظهره أرقب الورقة .. لقد كتب القصة كلها .. لا أعرف لماذا تحمست لكنى أردت أن يعرف الجميع الحقيقة ..

قال لمن معه :

ـ « يمكن القول إنه احترق داخل الفرن الذى يمثله ذلك الرأس العملاق .. لم تكن معه القلادة وكان هذا يعنى نهايته .. إن هؤلاء القوم من أتباع (دراجوسان) وقد قدموه قربانًا لزعيمهم أو للشياطين .. إلى آخر هذا الهراء .. »

ثم أردف وهو يغلق الدفتر المفتوح :

ـ « على كل حال هو كرر ما قلناه مرارًا .. يوجد سر مخيف فى كهوف (دراجوسان) ومن الخير لنا أن نبتعد عنها .. »

سأله العمدة وهو يراجع المذكرات التى تحكى كل شىء بالتفصيل ..

ـ « هو إذن لا يعرف أين (ويلارد) ولا أين اختفى ؟ »

قال الوسيط وهو يشعل سيجارًا :

ـ « معلوماته فى هذا الصدد هى معلوماتنا .. لن يضيف جديدًا .. لقد دخل كهوف (دراجوسان) وتوغل كثيرًا جدًا ، لكنه مشى حيث لا يجب أن يمشى .. لقد انتهت قصته أما قصتنا نحن فلا أعرف كيف تنتهى .. »

وهكذا جمع الجالسون أوراقهم .. (ماجى) العزيزة تبكى بلا انقطاع .. وقفت جوارها وحاولت أن أشرح لها أننى بخير .. لكن كيف ؟ أنا لست بخير ..

الجالسون يخرجون من الغرفة وأنا أصرخ بصوت لا يسمعه سواى :

ـ « وماذا عنى أنا ؟ ماذا عنى أنا ؟ »

ربما كان على أن آخذ تلك القلادة معى ..

لماذا لا تعود لصفحة 205 وتجرب احتمالاً آخر ؟

[تمت]

قلت له :

ـ « أعترف أنك قمت بمعجزة هنا .. خاصة أن كل هذه الميكانيكية تعمل بعد كل هذه الأعوام .. ولكن كيف منحك موت هؤلاء البؤساء أعوامًا أخرى ؟ »

ـ « هذا هو ما يعلمك إياه (النكرومانسى) .. إن سنى كل واحد من هؤلاء قد أضيفت لعمرى .. »

ـ « والآن أنت بحاجة إلى اثنين آخرين يلتصقان بنهاية عمرك ؟ »

قال وهو يضحك تلك الضحكة الكريهة :

ـ « لا قيمة لحياتكما عندى .. إلا لو كان عمر ذبابة (مايو) يمكن أن يفيد السلحفاة .. بالنسبة لى أنتما مررتما على الأرض فى لمح البصر ثم اختفيتما .. أرى حياتيكما نوعًا من وميض البرق .. فلا قيمة لهذه الثوانى المعدودة .. »

هتف (ويلارد) :

ـ « جميل .. نحن متفاهمون إذن .. لماذا لا تدلنا على طريق الخروج من هنا ، ونعدك بأن نصمت للأبد ؟ »

قال وهو يضع الريشة فى الدواة :

ـ « لم أعد مهتمًا بالبقاء أكثر .. إن نهايتى دانية وقد رأيتها ، لكنى أشتهى أن أظفر بابن من بعدى .. وقد فات أوان ذلك لأن طول العمر لا يعنى الخصوبة أبدًا .. »

قلت له :

ـ « جرب أن تتزوج .. لو وجدت من ترضى .. أعني أن بوسعك أن تجرب .. ألم تجد طريقة للإنجاب في كل علوم (النكرومانسى) هذه ؟ »

ضحك طويلاً ثم صبَّ لنفسه كوبًا من سائل أحمر في زجاجة أمامه .. لو كان هذا خمرًا فهو سكير لعين ، ولو كان دمًا فهو غول !

ـ « إن لنا سبلاً أخرى للإنجاب .. على أنني انتظرت أن يصل ابني الذي يجمع بين الشجاعة والذكاء .. وقدرت أن من يصل لهذه الغرفة يملك الاثنين .. أحدكما يصلح كي يتلقى البذرة ، ويحمل العينين الناريتين .. إنه ابن التنين ! »

وفتح فاه ..

وفي هذه اللحظة رأيت و(ويلارد) ذلك اللسان المشقوق الأسود .. كان يحمل على طرف اللسان شيئًا يشبه بيضة الثعبان .. جلدية خالية من الكلس .. رخوة .. مقززة ..

تراجعت للوراء في هلع .. بينما فوجئنا بأنه ينهض من على المنضدة .. وهو يطلق فحيحًا كالثعابين ..

قال لنا وهو يتقدم :

ـ « قبلة واحدة للمختار منكما .. بعدها يصير أنا .. سوف تنمو البذرة في أحشائه .. وعندها أموت راضيًا .. »

وثبنا مبتعدين أكثر ..

لكنك تعرف شأن من يمشون هذه المشية المتئدة المتعثرة .. إنهم يلحقون بك في النهاية مهما حاولت لأنهم يملكون الدأب .. تذكر كيف كان (الزومبى) بمشيتهم الزاحفة البطيئة يلحقون بالأحياء الأصحاء في (ليلة الموتى الأحياء) .. مهما حاولت الجرى فأنت تعود لذات النقطة أو تتعب أو تتعثر في شيء كان خلفك.. عندها تجد (الزومبى) يجثم فوقك ....

سوف يلحق بنا .. أنا أعرف هذا ..

تفرقنا .. كل واحد في اتجاه .. لكنه اتجه نحو (ويلارد) في إصرار وهو يصدر ذات الفحيح .. وقد فرد يديه أمامه كمصاصي دماء (هامر) ..

ـ « أنت الأصح جسدًا .. لذا أنت من أريد ابنًا ! »

وخرج لسانه المشقوق كله خارج فمه ...

صاح (ويلارد) في هلع :

ـ « (رفعت) .. افعل شيئًا يا أحمق ! »

حقًا يجب أن أفعل شيئًا..

لكن ما هو ؟

كنت أقف جوار الستار السميك .. وتذكرت أن المشهد الشنيع الذي طالعني خلفه كان يحتوي مجموعة ممتازة من المدى .. لو استطعت أن أمسك بواحدة وأحسن التصويب أو الطعن ..

أنا لم أطعن كائنًا حيًا قط ، لكن لا أستبعد أن يدفعنى الذعر إلى ذلك .. خاصةً أن هذا الشىء ليس آدميًا ..

هكذا أطبقت يدى على سكين عملاقة فى حجم ذراعى كلها ..

هكذا رفعت السكين ، ثم غرستها بأعتى ما استطعت ..

ووقفت أراقب ما سيحدث ....

هل مات (دراجوسان) ؟

إن كان معك خاتم (عشتار) فلتقصد صفحة 261

إن كان اليوم هو السبت أو الاثنين أو الخميس فلتنتقل إلى صفحة 243

إن كان اليوم هو الأحد أو الأربعاء فلتنتقل إلى صفحة 162

إن كان اليوم هو الثلاثاء أو الجمعة فلتنتقل إلى صفحة 106

من هذا المكان كنا نرى واديًا ممتدًا .. ليس من شىء أكثر غرابة من واد له سقف .. كنت أقرأ رائعة (جول فيرن) (رحلة إلى مركز الأرض) وأتخيل مشاهدها .. لكن من العسير نوعًا أن أرى هذا رأى العين ..

هناك فى وسط الوادى دائرة رسمت عليها نجمة خماسية عملاقة ، وفى مركز هذه النجمة يقف هرم حجرى مدرج .. من جديد ثقافة (الإزتك) تخيم على المكان .. (دراجوسان) هذا كان واسع العلم حقًا ..

النقوش على الهرم لا تريح .. إنها وجوه شياطين .. لو أردت أقرب تشبيه ممكن فهو واجهة كنيسة (النوتردام) حيث تلك التماثيل الشيطانية التى يطلقون عليها (الكراجلGargoyles) ..

كان هناك باب صغير مفتوح فى الجدار .. وكانت هناك عدة نوافذ فى أكثر من موضع ..

كان هذا هو المشهد البانورامى الذى جعل أنفاسنا تتقطع .. وقد بدأنا نهبط المنحدر صامتين .. متى وكيف صنع هؤلاء القوم كل هذا ؟ هذه الكهوف لا يجب أن تترك لتسكنها الخرافات والأشباح . إنها أثر عظيم الشأن .. يجب أن تسكنها وفود السياح والأدلة السياحيين ، وهذا فى حد ذاته كفيل بأن تصاب الأشباح بانهيار عصبى ..





قلت لـ (ويلارد) وأنا أتخلى عن حقيبتى وأجلس عليها :

ـ « أعتقد أننا لن ندخل هذا الهرم .. »

ـ « ولماذا ؟ »

ـ « لن نجد فيه إلا المتاعب .. لقد نلنا ما يكفى .. »

فكر قليلاً ثم غمغم فى حيرة :

ـ « لا أدرى .. إن الدعوة قوية .. »

ـ « السؤال المهم هو ماذا يوجد بعد هذا الوادى ؟ »

قال وهو يتأهب للمشى :

ـ « سوف نعرف حالاً .. »

وهكذا واصلنا المشى متجاوزين الهرم .. مشينا بضع دقائق حتى بلغنا نهاية الوادى ..

كان هناك نهر من حمم يتدفق تحتنا .. السائل الأحمر المنصهر يغلى غاضبًا مطالبًا بالقرابين .. طبعًا من الواضح أننا لن نقبل أن نكون من هذه القرابين ..

هكذا نظرت إلى (ويلارد) ونظر هو لى ..

قلت له :

ـ « لقد بدأت أفكر فى أن دخول الهرم صار محتومًا .. لا بد من أن نجد الجواب .. »

ـ « ما لم نرغب فى العودة إلى الشابين .. »

ـ « لا أحب هذا الاقتراح كثيرًا .. »

وهكذا استجمعنا شجاعتنا ووقفنا أمام الهرم ..

لا أرى ما يمنع من أن تلقى نظرة على صفحة 141 لتعرف أوراقك بالضبط .. حتى لا تبحث عن مفتاح رقم 8 فلا تجده ..

استجمعنا قوتنا ودخلنا من الباب المفتوح .. لو كانت الأهرام تتشابه هنا وفى مصر ، فإن تجربة مخيفة من (الكلوستروفوبيا) أمامى ..

فى هذه اللحظة خطونا خطوتين فى الظلام ، وقبل أن نعرف ما هناك كانت الأرض تتهاوى تحت أقدامنا .. رحنا نهوى لأسفل .. لأسفل .. لأسفل ..

تحاول أن تمسك بشىء بلا جدوى ...

تتذكر فى رعب أن الإنسان يمكن أن يواجه كل شىء بشرط أن تكون قدماه على الأرض .. ولهذا يهاب المرء الماء والسقوط من عل ..


تعال إلى صفحة 10 لترى نهاية السقطة

كنت قد بدأت أتوتر ..

نظرت إلى الوراء مفكرًا فى العودة ، ثم وجدت أن هذا أسوأ ..

من أمامى يتقدم (ويلارد) كأنما هو قطع هذا الطريق ألف مرة من قبل ..

وسمعته يصيح :

ـ « (رفعت) ! هل أنت معى ؟ لا تتعب سريعًا يا صديقى .. فالنجاة قريبة . »

حتى لو كانت النجاة قريبة ، فأنا لن أنجو بصحبة شخص تضىء عيناه فى الظلام ..

هنا شعرت بذلك الوجود الغامض ..

كان هو الواقف فى الظلال والذى لا ترى وجهه أبدًا لكنك تسمع صوته .

بصوت كأنه بالوعة الحمام إذا انتزعت السدادة ، وبنبرات هادئة واثقة ، وبلغة إنجليزية شكسبيرية عتيقة قال :

ـ « تذكر ما قيل لتعرف ما سيقال .. تذكر ما كان لتعرف ما سيكون .. لم بقى من نام فى نومه ؟ ومن الذى ورث عينى النار ؟ ابن التنين ما زال طفلاً .. فلتظفر به قبل أن يظفر بك .. »

وفى اللحظة التالية فعل ما اعتدته .. توارى فى الظلام فلم يعد له أثر ..

رحت أتذكر كلماته .. من العسير دائمًا أن تعرف ما يتكلم عنه إلا متأخرًا جدًا .. تذكرت شرطى مرور استوقفنى على الطريق السريع ذات مرة ، وقال ما معناه :

ـ « احترس مما يجب أن تحترس منه ! »

وبعد مائتى متر وجدت شاحنة مقلوبة مشتعلة ، والأرض زلقة بالزيت ، وكدت أفقد حياتى .. وتساءلت يومها عن الطريقة التى حصلوا بها على شرطى المرور (الشكسبيرى) هذا ..

اليوم أنا فى موقف مماثل ، لكن كل خلايا عقلى تعمل معًا ..

« لم بقى من نام فى نومه ؟ »

يتكلم عن القطة طبعًا .. كيف ظلت فى موضعها على الدرج ولم تتحرك حينما مر بها (ويلارد) قبلى ؟ لأنه ليس كيانًا ماديًا مثلنا ..

« ومن الذى ورث عينى النار ؟ »

(ويلارد) مرة أخرى .. ابن (دراجوسان) يرث عينين ناريتين .. أراهما الآن يضيئان لى الممر ..

« ابن التنين ما زال طفلاً .. فلتظفر به قبل أن يظفر بك .. »

هذا هو الجزء الصعب فى الأمر ..

إذن هذا يقول بما لا يدع مجالاً للشك إن (ويلارد) صار هو (دراجوسان) .. إنه ابن التنين لكنه ما زال طفلاً .. يمكن الخلاص منه بسهولة ..

هل يعنى هذا أنها فرصتى الأخيرة للنجاة ؟

وماذا لو لم أفعل ؟

ماذا لو تظاهرت بالغباء ؟

★ ★ ★

و(ويلارد) يتقدم .. ويقول بصوت غريب عميق :

- « تقدم يا (رفعت) .. إن هى إلا بضع خطوات أخرى !! »

هنا وجدت تلك البلطة على الأرض ..

من جاء بها هنا ؟ متى ؟

لو كانت هناك روح خيرة فى هذا المكان الكابوسى فهى تحاول مساعدتى .. ولربما هو الشيطان ذاته يريد أن أفتك بصاحبى البرىء ..

كيف أعرف ؟

كيف أتخذ قرارى ؟

إن كنت فتاة فلتتجه إلى صفحة 210

إن كنت فتى فلتتجه إلى صفحة 227

ممرات متشابكة ..

يمينك ويسارك ممرات لا نهاية لها ..

هذه لم تكن موجودة من قبل ..

إن الكهوف حية تبدل معالمها كل دقيقة .. هذا مؤكد .. لكن هناك شيئاً واحداً مؤكداً : أنت لا تستطيع المضى أكثر .. معنى هذا نهايتك ..

برغم أن معك قطعة الطبشور فإن الإضاءة تخفت باستمرار .. ثم إن الكهف الذى يغير معالمه لقادر على أن يمحو آثار الطبشور عنه !

أعتقد أن عليك أن تجرب من جديد ....

ما زالت عندك الصفحات 20 أو 35 أو 93 أو 109 أو 123

إن كنت قد استنفدت محاولاتك الثلاث .. فعد إلى صفحة 31

مترنحًا نهض (ويلارد) ، وأعلن انه سيواصل السير ..

هكذا رحنا نمشى من جديد على ضوء المصباح فى هذا الممر المزدان بالمومياوات .. تعرضنا لأكثر من هجوم بالثعابين الواثبة ، لكن الهجمات طاشت لحسن الحظ .. سامة أو غير سامة لا أستطيع أن أتصور ثعبان (بومسلانج) يتشبث بلحمى وأنا أحاول انتزاعه ..

أين نهاية هذا الممر ؟

كم مات من هؤلاء القوم ؟

يخيل إلى أننا مررنا بمليون مومياء .. لابد أن هذا الممر يحوى كل أفراد هذه السلالة ..

قلت لاهثًا وأنا أجفف عرقى :

- « أنا منهك .. أرى أن نجلس ونأكل .. »

مشمئزًا قال :

- « آخر مكان يمكن أن آكل فيه هو هذا الممر .. لماذا لا تبتلع بعضًا من أقراصك تلك ؟ لربما أشبعتك .. »

فكرة لا بأس بها .. دسست قرصًا تحت لسانى برغم أننى لا اشعر بألم خاص ، لكنى أحاول أن أرفق بما بقى فى شرايينى التاجية .. هذا العمل لا يناسبنى .. لا يناسبنى أبدًا ..

سمعت صوت الـ (كليك كليك) فلم أهتم كثيرًا ، لكنى سمعت (ويلارد) يقول :

- « (رفعت) .. »

- « هم م ؟ »

- « (رفعت) .. »

- « لو كنت تنوى البقاء هنا للأبد ومناداة اسمى حتى تقوم الساعة فإننى أرجو أن ترحمنى .. »

- « (رفعت) .. إن المومياوات تنهض !! »

لا تتكلم عن صحوة المومياوات يا أحمق ..

سأقبل أى شىء تقوله لكن لا تحدثنى عن أن هذه العظام تنهض وهى رميم .. هذا يدخلنا فى قائمة أخرى هى الهراء ذاته ..

ونظرت للوراء فوجدت أننا وقعنا فى فخ مخيف ..

بالفعل هناك مومياوات تثب من مواضعها فى الرفوف وتقف على قدميها مترنحة .. تلك الحركة المفككة التى تذكرك بالكوابيس ..

نظرت للوراء فرأيت منظرًا شبيهًا .. هذا الممر مغلق ..

صحت فى ذهول :

- « مستحيل .. هذا خداع بصر لا شك فيه .. »

ـ « لا يبدو كذلك جدًا .. »

إن (دراجوسان) هذا مخرج مسرحى بارع لكنه لن يقتعنى بأن هذه المومياوات تعود للحياة .. لهذا ـ معتمدًا على منطقى الذى لن يتغير ـ واصلت المشى نحو المومياوات التى بدأت تنهض على قدميها أمامنا ..

لست شجاعًا .. أنا فقط متأكد مما هنالك ..

كانت المومياء الأولى أمامى فأزحتها جانبًا .. هنا راحت تتأرجح بتلك الحركة الرتيبة التى تميز بندول الساعة ..

نظرت لأعلى فوجدت أن الأمر كما ظننت ..

هناك قرص معلق بالسقف يدور بلا انتظام .. وهذا القرص تتدلى منه حبال مربوطة إلى عنق وذراعى وساقى المومياء .. كل مومياء تتصل بقرص مماثل يتدلى من عل .. دمية (ماريونيت) فعلاً .. ويبدو أننا حركنا آلية ما تجعل هذا الشىء يتحرك .. هكذا تثب المومياء من مكانها وتتأرجح أمام عينيك المذعورتين .. حركة القرص العشوائية تحدث المعجزات وتجعل الجسد يرقص رقصة الموت **Macabre** ..

أزحت هذه المومياوات جانبًا كأننى أزيح ستراتى المعلقة على المشجب فى خزانة الثياب .. ذات الإحساس ..

.. بعد أعوام رأيت مشهدًا مماثلاً فى ثلاجة الموتى فى فيلم (غيبوبة) حيث توارت بطلة الفيلم (جنفييف بوجولد) من قاتل مأجور ..

قلت لـ (ويلارد) الذى ظل مترددًا :

ـ « اتبعنى .. فكرْ فى الأمر كأنك محاصر بدمى (ماريونيت) ، وهى كذلك فعلاً .. إن هذا الرجل لم يكن يبالى بحرمة الموتى كثيرًا .. »

شق طريقه وسط ثغرة الأجساد ، ومشى ورائى فى الممر وهو يقول :

ـ « لكن هذا لغز .. لو كان الرجل لا يريدنا أن نتقدم فلماذا يسد الطريق علينا من الخلف بهذه الأجساد ؟ ولو كان يريد أن نتقدم فلماذا يسده أمامنا ؟ »

ـ « لا أعرف .. ربما كان غرضه أن يتوقف قلبانا من الرعب .. »

ثم أضفت :

ـ « ثمة شىء مؤكد .. نحن بلغنا مرحلة لم يبلغها أحد من قبل .. إننا فى قلب السر .. »

هنا فقط رأينا نورًا أحمر غامضًا يأتى من نهاية الممر .. الضوء عند نهاية النفق كما يقول الإنجليز كناية عن الأمل .. لكن هذا النور بالذات لا يوحى إلا بالتوجس ..

صامتين غادرنا الممر الرهيب ..

كانت أمامنا الآن ساحة واسعة تشبه فناء قرية لولا أن هناك سقفاً هو سقف الكهف ، ولولا أن هناك إضاءة حمراء مريبة لا أدرى من أين تأتى ..

هناك بيوت على الجانبين .. بيوت كلها من طابق واحد وتذكرك جداً ببيوت قريتى ، لولا ذلك الطابع الأوروبى الواضح .. كل بيت له نافذة واحدة .. لا يوجد ما يوحى بأنها مسكونة لكن لا يوجد ما يوحى كذلك بأنها مهجورة ..

أنت تفهمنى .. إن ترك هذه البيوت مئات الأعوام كان سيجعل حالتها أسوأ .. أطفأنا نور المصباح لأن الإضاءة الحمراء كانت كافية برغم أنها خانقة .. كأننا بصدد تحميض صورة فوتوغرافية ..

دنونا من أول هذه البيوت .. ثمة باب خشبى متآكل موارب ..

قلت لـ (ويلارد) بصوت مبحوح :

ـ « ما رأيك ؟ هل ندخل ؟ »

ـ « قال العنكبوت للذبابة : هلا جئت للعشاء فى داري؟ »

ـ « أعتقد أنها أجابت بالموافقة .. »

واجتزنا الباب العتيق .. فى الداخل كانت هناك غرفة واحدة كبيرة .. هناك مدفأة خالية ومنضدة خشبية .. ومقعدان .. هناك

فراش بدائى من ألواح الخشب .. خشب متين جداً إذ يتحمل مئات الأعوام دون تسويس .. هؤلاء الحطابون (الجيليون) كانوا يعرفون ما يفعلون .. الإضاءة الحمراء تتسرب من النافذة فتجعل الرؤية ممكنة ..

فيما عدا هذا لا توجد شراك أخرى ..

جلسنا إلى المنضدة ووجدنا أن الوقت مناسب لتناول وجبة .. كان تفكيرى منحصراً فى ترموس الشاى الذى يحمله (ويلارد) .. تحول الكون كله إلى محيط من الشاى أريد أن أرتمى فيه وأسبح ..

هكذا استعدنا قوانا ..

قلت له اقتراحى الجريء :

ـ « اسمع .. هذه الفرصة قد لا تتكرر كثيراً .. لِمَ لا ينام واحد منا ساعة أو أكثر ونتناوب على الحراسة ؟ من يدرى متى نستطيع النوم ثانية ؟ »

نظر لساعته فوجد أننا فعلاً فى المساء .. الإضاءة هنا خادعة لا تخبرك بشىء ..

من حقنا فعلاً أن نظفر ببعض النوم ، فلا ندرى متى نقدر عليه ثانية ..

هكذا وافق على اقتراحى ، وقبل أن أحدد من ينام كان قد طوح الحذاءين وارتمى على الفراش .. وسرعان ما تعالى غطيطه ..

جلست إلى المنضدة وصببت لنفسى المزيد من الشاى ..

ماذا أتى بى إلى هنا ؟ ما الغرض ؟ إن هذه الكهوف حية .. أشعر بهذا وأحس به .. كل ركن فيها يحكى قصة مخيفة ما .. لقد ابتلعتنا ومن العسير أن تلفظنا ..

النعاس يتسرب إلى عينى ..

يجب أن أقاوم ..

يقولون إن أقوى حيلة للنوم هى أن ترغم عينيك على أن تبقيا مفتوحتين فى الظلام .. جسدك يعمل دائمًا عكس ما تريد أنت ..

لهذا بدا كأن جفنى يزنان عدة أطنان .. إننى أحاول لكن ..

من الخطر أن أنام هنا .. سأقاوم ..

لو غلبك النوم اتجه إلى صفحة 110

لو كنت قوي الإرادة وقاومت فاتجه إلى صفحة 142

تراجعت للوراء مذعورًا .. هنا رأيت راعيًا قادمًا من بعيد وقد سمع صوت عواء الخروف (لا بد أننى أهذى) ..

لما رآنى صرخ بأعلى صوته :

- »######@٪^^^^^^•••&&##!~~~~)(######^& «

ولوح بالعصا فى وجهى ..

هنا لاحظت ما أثار هلعى بحق .. إن له عينًا واحدة فى منتصف الرأس وله لسان أخضر غريب ..

ثم هرع بعض الرعاة نحوى وكلهم يحمل ذات الوجه الغريب ..

نظرت إلى الوراء للكهف ..

ليس هذا هو عالمى الأصلى ، وإنما للكهف عدة فتحات تقود إلى عوالم أخرى .. وأنا الآن فى عالم لا أعرف بأية لغة يتحدث .. عالم تحرس فيه الحملان الكلاب التى ترعى العشب ..

(برسيفون) أو (نافاح) لم تكن طيبة كما قالت .. كانت هذه خدعة قاسية .. عطاياى هى أن أكون أحمق .. لقد فشلت فى حل السر وكان طلسم (دوروثى) معى لهذا صار على أن أجتاز ممر الأشباح لأنجو .. لكن أية نجاة ؟ لأكون حرًا .. ولكن أية حرية ؟

كنت أقف وظهرى للكهف أرمق هؤلاء الرجال يلتفون من حولى ويتكلمون بتلك الأصوات ..

كنت أقف وأنا أفكر فى طريقة للعودة .. للفرار .. للحياة .. يومًا ما سأتعلم لغة هؤلاء القوم ـ ما لم يفتكوا بى ـ وأعرف منهم مكان فتحة الكهف التى يمنعون شبابهم من عبورها .. يومها .. سأدخل مرة أخرى .. ولسوف أنجو هذه المرة !

[تمـت]

لا أعرف ما حدث بعد هذا ..

* * *

مرحبًا بكم !

هل ما زلتم تنتظرون ؟

إننى أهبط من فوق الدرجات إلى الأرض .. قدماى أكثر ثباتًا وثقة .. ما زلت مرتبكًا مبلبل الفكر ، لكنى على الأقل أعرف أن شيئًا مهمًا قد حدث ..

ينحنى القوم لى عندما يروننى ..

تتقدم الفتاة نحوى وتنحنى وتقول :

ـ « سيدى .. سيدى .. لا أستطيع أن أعبر . »

وقفت أمام التمثال العملاق ونظرت لهم .. هذه الوجوه أعرفها وجهًا وجهًا .. رفعت يدى وهتفت :

ـ « قد عاد سيدكم ! »

فتعالت الصيحات من الحناجر :

ـ « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

وتحسست صدرى .. بشكل ما لا يوجد حرق واحد لكنه ساخن جدًا وقد ارتسمت عليه تلك القلادة .. لقد ذابت القلادة لتتمسك

بصدرى بعملية تشبه اللحام .. صورة تنين .. طبعًا .. (دراجوسان) معناها (التنين) ..

ونظرت إلى الوجوه ..

الآن أعرف من أنا ..

أنا (دراجوسان) نفسه .. لقد رحل منذ زمن ، لكنه قال إنه سيعود يوم يجتاز أحدهم كل الصعاب الموجودة فى هذا الكهف .. رجل اجتاز كل الصعاب لكنه لم يعرف السر .. هكذا احتفظ بسذاجته الأولى .. رجل معه القمر .. رجل معه القلادة ..

واضح أن أحدًا لم يصل إلى هذه المرحلة المتقدمة من الكهوف .. لهذا تم الاختبار وكان هناك ناجح وحيد هو أنا ..

والحقيقة التى لم أعرفها هى أن الكهوف ليست بيت أشباح فى الملاهى .. لكنها لجنة امتحان .. وقد نجحت !

فجأة صرت أعرف كل تفاصيل الكهوف .. لِمَ لا ؟ ألم أشيدها بنفسى فى ذلك الزمن السحيق ؟ ثم انتهى أمرى وظل رعاياى ينتظرون اليوم المحقق .. يوم يأتى الرجل ويدخل الفرن لينصهر بداخله مع القلادة ويصيران الشخص ذاته ..

ـ « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

تقترب منى (نافاح) المخلصة فألمس على شعرها الأسود الطويل .. إنها كاهنتى الكبرى وهى من اقتادت ذلك الأحمق إلى النهاية .. صحيح أنه حسب أنه يفر منها بينما كان يفر بالذات إلى الخانة التى اختارتها له .. لقد احترق الأحمق لكن مع القلادة ، ومن الرماد يخرج (دراجوسان) العظيم.

(نافاح) تستحق أن أكافئها .. ستكون زوجتى ..

ألسنة اللهب تتعالى والوجه يبصق النار فى كل اتجاه ..

والآن بدأ عهد جديد ..

وقفت على صخرة عالية ورفعت يدى لأعلى ..

توقف القوم عن الهتاف وإن لم يجسر واحد منهم على أن يرفع عينيه لأعلى ما عدا الكاهنة ..

قلت لهم :

ـ « يا شعبى العظيم الكريم .. قد عانيتم الكثير كى تبقوا سالمين كل هذه السنين وتدخروا قواكم لى .. الآن حان حين المكافأة .. »

ثم أشرت إلى الجدران :

- « خارج هذا الكهف يوجد بشر سعداء وقرية آمنة .. كان هذا فى عهد بائد قبل أن يعود سيدكم العظيم من النيران ، والآن جاء عهد الخروج إلى العالم واعتلائه .. هذه ليلة خاصة .. ونحن نبتغى احتفالاً خاصًا .. »

رأيت الظلال تحتشد .. ثم تتجمع فى شكل العراف .. ذلك الطيف المخادع الذى أرسلته يجوب الكهوف منذ مئات السنين ..

قال لى فى وقار :

- « هل لى أن أرحل أيها السيد العظيم ؟ »

- « لك هذا .. عد إلى عالم الحلم من حيث جلبتك .. أنت حلم وحلمًا ستعود .. »

هكذا بدأ يذوب كأنه الدخان .. لا أعرف من أين اكتسبت هذه القدرات ، لكنى كنت أدرك من لحظة وأخرى أنه لم تعد لى علاقة بالمدعو (رفعت إسماعيل) ..

قلت لشعبى وأنا ألوح بسيف ذهبى لا أعرف من أين جاء :

- « الليلة تهبطون إلى القرية .. هاجموا النيام .. لا تأخذنكم بهم شفقة أو رحمة .. أريد مئات القرابين البشرية الليلة .. أريد عشائى منهم .. هل تفهمون ؟ منهم لا من طعامهم ! »

تصايح القوم أن نعم ..

- « بعدها نغزو العالم كله !! نظفر بقوة استحققناها منذ دهور ! »

لسوف يكون المشهد مروعًا حين تتفتح الكهوف فى الظلام لتتدفق منها هذه الأسراب من البشر .. لا .. ليسوا بشرًا بل هم غيلان جائعة ..

حاملين المشاعل ينزلون على القرية الآمنة .. سوف يصرخ الجميع ويفرون فى كل صوب .. ويبدأ عهد الرعب .. عهد (دراجوسان) .. الذى أنشأ هذه الكهوف ..

إن الغد رائع .. رائع إلى حد يثير رعبى !

[تمت]

قلت له :

ـ « أفضل استخدام الممر الأيسر .. ما دمنا جئنا للاكتشاف فلن نضيع الوقت فى رؤية ما سبق أن رأيته .. »

بدا لى أن الإجابة لم ترق له كثيرًا .. وهكذا وجدنا أننا ندخل ممرًا وعرًا ضيقًا .. نبدو لمن يرانا وهجًا ضوئيًا متحركًا يرمى بظلال مخيفة من الأمام والخلف .. أصارحك القول إننى بدأت أشعر بالقلق .. لا بد من بعض رهاب الأماكن المغلقة (كلوستروفوبيا) لدى كل واحد .. لست بالاستثناء الوحيد ، وإن كنت أقل من سواى فى ذلك .. أعتقد أنه ذات الشعور الغريزى الذى يشعر به القط المحاصر ... لكنى لست أحمق .. على الأقل فيما يتعلق برسم أسهم صغيرة بالطبشور تحدد اتجاهنا .. أكثر من يموتون فى الكهوف يموتون لأنهم ضلوا الطريق ..

إن معى زجاجة (النيتروجلسرين) .. هذا جميل .. لا شك أننى سأحتاج إلى بعضه ليس بسبب الذعر فحسب وإنما بسبب نقص الأكسجين ، والجهد الذى لم أعتده .. فى نهاية الممر هناك بوابة حديدية صدئة .. مفتوحة طبعًا .. وأنا اعتدت هذه البوابات المفتوحة كذراعى صديق ، والتى تنغلق عليك بمجرد دخولها كأنها فكا تمساح .. قلت للفتى وأنا أتأمل الباب الصدئ :

ـ « من الواضح أننا لن ندخل .. »

ـ « هذا رأيى بعينه .. »

ـ « هل قابلت شيئًا كهذا فى الممر الآخر ؟ »

هز رأسه كأنما يتذكر .. ثم هز رأسه كأنما ينفى .. هذا يؤكد وجهة نظرى .. الشىء الآخر المقلق هو أن الأرض تهتز .. تهتز بقوة .. هل هو زلزال ؟ مستحيل .. لا مصادفات بهذه الدقة .. الغبار يتساقط من السقف .. ثمة شىء ما يطير مذعورًا .. إن المزيد من الصخور يسقط .. ولمحت الرعب فى عينيه يعكس الذعر فى عينى .. معنى هذا شىء واحد ..

معناه أننا سنبحث عن مهرب ..

معناه أننا سندخل البوابة الحديدية التى تنتظرنا لتنغلق !

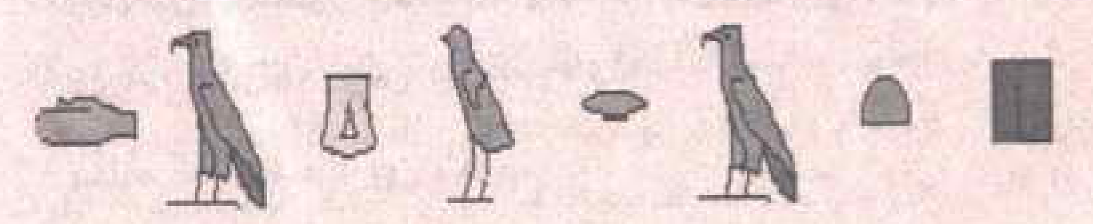
من العسير أن ترى شيئًا خلف البوابة إلا حين تقف هناك وتلتقط أنفاسك ..

من ورائك ترى السقف كله ينهار .. سحابة من الغبار والدوى الهائل .. حتى لتوشك أن تختنق .. لكن ـ لسبب ما ـ لا يتسرب الغبار عبر البوابة الحديدية .. وددت أن أقول إنه حظنا الحسن ..

لكنى أعرف أفضل ..

لم تنغلق البوابة .. لكن الممر صار مردومًا بالكامل ، بحيث لم يعد أمامنا إلا التقدم بالفعل ..

أما المكان الذى يجثم أمامنا ـ والذى أعتقد أننا أول من رآه من قرون ـ فهو أشبه بغرفة الدفن فى الهرم .. قاعة واسعة حجرية خالية إلا من فئران تركض هنا وهناك .. للأسف لا تستطيع أن تلم بتفاصيلها لأن الضوء لا يصل إلى كل موضع فيها ، لكنك ترى بوضوح هذا النقش الهيروغليفى مكتوبًا (بصورة رأسية لا أفقية) على أكثر من جدار :



يمكنك أن تثب إلى صفحة 237 لتعرف ما يقول .. أما أنا فدعنى لدهشتى ، لأن آخر ما كنت أتوقعه أن أجد كتابة هيروغليفية هنا بالذات ..

لاحظ دهشتى فقال :

ـ « لا تنس أن هؤلاء القوم كانوا يتعاطون السحر .. ويقال إن أقوى أنواع السحر طرًا هو ما عرفه قدماء المصريين .. يشبه الأمر اضطرار الطبيب إلى تعلم مصطلحات لاتينية عديدة .. »

على أننى كنت قد خمنت المكتوب من دون حاجة لزيارة قاموس اللغة .. لا شك أن هذا هو توقيع الأخ (دراجوسان) نفسه ..

رحنا نتفقد الجدران فى اهتمام .. لا يوجد شىء .. لا فتحات من أى نوع .. يبدو أن هذه نهاية الممر ونهاية الرحلة .. علينا أن نرى ما ينتظرنا فى الممر الأيمن ..

على أننى استغرقت وقتًا أكثر من اللازم كى أفهم أن القصة لا تنتهى هنا ..

إن الفئران لا تهرب من ناحية البوابة الحديدية ، لكنها برغم هذا تتوارى فى موضع ما ..

اتجهت إلى آخر موضع رأيت فيه فأرًا منها .. هنا أدركت أن هناك فتحة صغيرة جدًا بحجم قبضة يدك .. هى تسمح بمرور فأر هزيل ، أو فأر بدين لديه جسد مرن كجسد (هودينى) .. من هذه الفتحة أتت الفئران ورحلت ..

قلت لـ (ويلارد) بصوت جعله الصدى غريبًا :

ـ « هذا الجدار ليس النهاية .. هناك فتحة وراءه .. »

والأهم هنا هو أن هذا الجدار لم يبنه سير (ماكنتاير) .. لا توجد علامات بناء من الخارج .. هذا الجدار موجود من زمن ..

بلا حذر مد (ويلارد) ساعده النحيل من خلال الفتحة و ....

ـ « آى ! »

نظرت له لكنه لم يخرج ذراعه .. فقط قال بصوت متوجع :

ـ « عضة فأر .. هذا لا شىء .. »

من حسن حظه أنه لا يملك خبرة طبية ما .. بالنسبة له عضة الفأر هي عضة فأر .. ألم ولاشيء سواه ..

ثم أخرج لسانه في حذق ، وقال :

ـ « صبرًا .. هذه رافعة .. هان .. هان !! »

ولدهشتي رأيت الجدار العملاق يتزحزح ببطء .. كاشفًا عن أنه مجرد باب .. باب حجري عملاق يدور بسهولة غير متوقعة .. ومن ناحيته الأخرى هوت عشرات الفئران هاربة ..

تراجعت للوراء في ذعر .. لست هستيريًا لكني أمقت الفئران التي تتسلق سروالي وتدخله أحيانًا .. كلنا ذات الرجل على ما أعتقد ..

قال (ويلارد) :

ـ « ما رأيك ؟ الاكتشاف هو الاكتشاف .. فلندخل إذن .. »

قلت مرتابًا وأنا أتراجع أكثر :

ـ « لا أحب هذا .. نحن نتورط أكثر فأكثر خلف أبواب .. قد تنغلق جميعًا بفعل انهيار ولا أحد يعرف أننا هنا .. »

إن فكرة السجن باقي حياتي هنا مع فئران لا تروق لي كثيرًا ..

قال (ويلارد) :

ـ « ولو لم ندخل لبقينا أبد الدهر عاجزين عن معرفة ما ينتظرنا هنا .. ولسوف تلوم نفسك كثيرًا في بلدك : ليتني كنت أكثر شجاعة .. »

ـ « أرى أن الحكمة هي أن نعود لنجرب الممر الأيمن .. سنحاول إزاحة الصخور المتراكمة ونشق طريقنا .. »

هل نعود لنجرب الممر الأيمن ؟ أدخل صفحة 41

هل نجتاز الباب ؟ إذن هي صفحة 95

حقًا لا أستطيع تفسير شىء من هذا الهراء ..

لا تطالبنى بالمعجزات من فضلك .. (شامبليون) و(جروتفند) كان لديهما كل الوقت لاستخدام طريقة تكرار الحروف مع الكتابتين الهيروغليفية والمسمارية بالترتيب ، و(بو) ألف طريقة الحل وهو يعرف الجواب النهائى .. كان من السهل عليه أن يجعل بطل قصته عبقريًا وهو يدلى العنكبوت المربوط بخيط من محجر الجمجمة ليجد الكنز .. لكن لا تطالبنى بالمعجزات ..

هكذا نهضت وناديت بصوت عال :

ـ « آنسة (برسيفون) ! آنسة (نفاخ) .. لقد (غلب حمارى) !! »

سمعت صوتها آتيًا من ركن القاعة ..

يبدو أنها بدأت المشى فى نفق الأشباح ، الذى يكفى اسمه لقتلى رعبًا .. لكن لا حل أمامى .. إما أن أبقى هنا للأبد أو أجرب احتمال أن تكون ملاكًا خيرًا فعلاً ..

كان هناك فى ذلك الركن فجوة سوداء .. لم أرها من قبل .. ربما لم تكن موجودة من قبل وهذا أخطر شىء فى كهوف (دراجوسان) ..

وكان صوتها يأتى من الداخل ..

هكذا هرعت ألحق بها فرأيتها تتقدم وسط ممر طويل وهى تحمل مشعلاً ..

هكذا لك أن تتخيل المنظر .. هى جسم أسود غامض خفاق والمشعل فى يدها يجعلها كأنما هى ذاتها تتوهج .. وهذا الوهج يسافر ببطء مبتعدًا عنى ..

ـ « تماسك أيها الغريب وإلا موتًا تموت !! »

ماذا هنالك ؟ لا يوجد ما يخيف هنا أكثر من نفق الأشباح فى مدينة ملا ....

ثم بدأت أفهم ..

هذه ليست جدرانًا ..

إنها وجوه بشر .. مئات بل ألوف من وجوه البشر المتراصة فى طبقات فوق بعضها .. لا لم تكن مقبرة لأن هذه الوجوه كانت حية تتحرك ..

وتتألم ..

فجأة انفتحت الأفواه وراحت الصرخات تندفع منها محدثة ما يشبه عاصفة مريعة توشك على اقتلاعى من الممر ..

صراخ .. صراخ ..

وجوه رجال تصرخ .. وجوه نساء تصرخ (وصرختها هى الأكثر رعبًا) .. وتتقلص من الألم ..

كل هذا محتمل لو سددت عينيك وأذنيك ، لكن هناك بعض الأذرع كذلك .. وهي تخرج فجأة من وسط الوجوه محاولة أن تقبض على أي شيء منك ..

يشبه الأمر ذلك المشهد السينمائي الشهير للمار بين أقفاص المحكوم عليهم بالإعدام في روما القديمة ، وهم يحاولون اقتناص أي جزء منه ..

صراخ .. صراخ ..

يد تقبض على كتفي فأتملص ..

فقط ليرتطم وجهي بوجه يصرخ ويتلمظ في نهم إذ أدنو منه .. حذار .. لن تكون عضة هذا الشيء محببة ..

لولا أنها تسير في ثبات أمامي كأنها حارس حديقة الحيوان يمشي غير مبال بين أقفاص النمور ، لفررت عائدًا ..

صحت أناديها :

ـ « فلنرجع !! »

قالت وسط الصراخ :

ـ « لا أسمع ما تقول !!! »

ونظرت ورائي فوجدت أن الموقف ذاته يتكرر .. لا يمكن العودة .. ربما كان التقدم أكثر أمنًا ..

وهكذا واصلت المسيرة الرهيبة ..

فجأة .. تنصهر الوجوه كلها كأنها تماثيل في متحف الشمع وضعت في فرن .. وهو مشهد لا يقل سوءًا ..

القطرات تسيل لأسفل وتتجمع على الأرضية .. تحاول ألا تدوس فيها لكن هذا عسير ..

وأصرخ في الفتاة :

ـ « هل بقي الكثير ؟ »

ـ « لا أسمع ! لا أسمع ! »

لم ألق أرواحًا خيرة صماء كثيرة في حياتي ، لكن دعني أؤكد لك إنه شيء قاس ..

فجأة وأنا أتبعها شعرت بذلك الشعور المريب بأن هناك شخصًا ما .. ليس هناك شيء غريب في أن أشعر بشخص وأنا بين ملايين الوجوه ، لكن ما أردت قوله هو إن هذا شخص مألوف ..

نظرت للوراء فوجدته يقف في الظلام وسط الوجوه المنصهرة ، وهو يقف في الظل تمامًا ..

إنه العراف طبعًا .. من سواه ؟

بصوت كأنه بالوعة الحمام إذا انتزعت السدادة ، وبنبرات هادئة واثقة ، وبلغة إنجليزية شكسبيرية عتيقة قال :

– « فقط من يجتازون كهوف (دراجوسان) بأقدامهم لكن عقولهم لم تجتزها ، هم المختارون ليكونوا .. أما من اجتازتها عقولهم فهم طعام الديدان. إن كنت تملك العطايا فلتمض فى ممر الأشباح ، أو كنت لا تملكها أو تملك القمر فلتعد .. (هلميوس) .. (هلميوس) .. »

أرجو أن تتجه إلى صفحة 161 لتدون هذه التعويذة .. لا تنس أن تدون كل تعويذة سمعتها .. هذا قد يفيد ..

وفى اللحظة التالية لم يعد هنالك ..

ظريف هذا الرجل .. كان يصلح ليكون أهم موظف شفرة فى الغرفة رقم 40 التى كانت تكتب وتفك فيها رموز الشفرة فى المخابرات البريطانية ..

ما معنى ما قال ؟

كيف أتخذ القرار الصحيح ؟

واضح أن هناك كارثة هنا .. فهو ينذرنى من أن أكون طعام الديدان . ثم على أن أعرف إن كان ما معى هو القمر (وهكذا يجب أن أعود) أو العطايا (عندها يجب أن أبقى) ..

لنتذكر ما قال ثم .. ..

– « لماذا تأخرت أيها الفانى ؟ »

إنها تنادينى بإصرار .. وهى الآن على مسافة لا بأس بها بمشعلها ..

هو قال : « فقط من يجتازون كهوف (دراجوسان) بأقدامهم لكن عقولهم لم تجتزها ، هم المختارون ليكونوا .. »

أعتقد أن هذه الخانة تنطبق على .. أنا لم احل اللغز وبالتالى (أنا المختار لأكون) .. أكون ماذا بالضبط ؟

ثم قال : « أما من اجتازتها عقولهم فهم طعام الديدان .. »

وهذا لم يحدث معى والحمد لله ..

– « لماذا تأخرت أيها الفانى ؟ »

(دوروثى) أصلها اللاتينى هو (العطايا) .. ربة العطايا عند الإغريق .. (أرتميس) هو الاسم اليونانى لـ (ديانا) وهى عند الرومان ربة القمر .. الرجل يسألنى ببساطة عما إذا كانت معى قطعة المعدن التى كتب عليها (دوروثى) أم (أرتميس) ..

فلنفحص الحقيبة ..

لو كانت قطعة المعدن معك تحمل اسم (أرتميس) فلتذهب إلى صفحة 200

لو كانت قطعة المعدن معك تحمل اسم (دوروثي) فلتستمر في ممر الأشباح وأمرك لله..

إذن اخترت اسم (دوروثى) .. هذا ما فكرت انا أيضًا فيه .. إنه اسم مألوف أما اسم (أرتميس) فله رنين مخيف ..

الآن نواصل اجتياز كهوف (دراجوسان) ..

نواصل اجتياز ممر الأشباح سيئ السمعة ..

فى النهاية رأيت مساحة واسعة .. وكانت الفتاة تقف بقرب فتحة فى جدار الكهف ..

كانت تضحك .. للمرة الأولى تضحك فعلاً ، وأزعم أن ضحكتها كانت فاتنة تزيل التوتر والصداع ..

نظرت لها فى غير فهم فقالت :

ـ « أنت اجتزت الكهوف ومررت بكل ما عجز الكثيرون من الفانين على المرور به .. أنت اجتزت الكهوف أيها الفانى ، لذا استحققت المجد .. لكنك لم تعرف كنه (دراجوسان) لذا استحققت الحرية .. أن تكون .. »

قلت لها فى حيرة وأنا أقدم رجل وأؤخر أخرى :

ـ « هل تعنين أننى ـ لو حللت اللغز ـ ما كنت لأخرج من هنا ؟ »

ـ « لا أحد من الفانين يعيش يومًا آخر بعد الوصول إلى كنه (دراجوسان) ! هم يظفرون بالمجد لكنهم موتى .. الحرية والمعرفة لن تنال معًا .. »

إذن أحمد الله على أننى كنت حمارًا ولم أحل اللغز . من العلم ما قتل .. هذا يتضح لى الآن .. ولكن إلام تقود هذه الفتحة ؟

قالت وهى تمد يدها لى :

ـ « ومعك الطلسم لن تخرج .. هاته اولاً .. »

تخلصت من قطعة المعدن بلا أدنى ندم فتنحت الفتاة قليلاً لتتيح لى أن أرى ما يوجد خلف الفتحة ..

نور الشمس !!

هذا واد أخضر عذب .. هذه بيوت ..

لقد عدت ! العالم الخارجى ما زال يمارس حياته العادية الهادئة .. بينما على بعد خطوات يوجد أعقد كابوس عرفته ..

قالت وهى تشرق كالشمس خلفها :

ـ « لقد منحت العطايا .. وعطاياك هى أن تكون .. »

رأيتها كأجمل ما رأيت فى حياتى .. ترى هل تقبل عرضًا بالزواج الآن ؟

ومررت من جوارها لأقف على حافة الكهف أرمق العالم الخارجى الساحر ..

نظرت للوراء فوجدت الكهف ورائى .. هذه فتحة لا يعرفها أحد للكهف ، ولن يعرفها أحد لأنها أغلقت والفتاة معها ..

ولكن كيف أجد (ويلارد) ذلك الأحمق ؟

فرصة أن أعود مع حشد من الرجال ونجده هى واحد فى المائة .. لو كان هذا الكهف يتغير بهذه البساطة فلن يعجز عن التهام الناس ..

بدأت أهبط ذلك المنحدر الجميل وكانت مجموعة من الأغنام تقف عن بعد ، لتضفى على المشهد طابعًا ساحرًا .. كأنها إحدى القصائد الرعوية Pastoral الخالدة .

كان هناك كلب أسود يرعى العشب .. لا بل عدة كلاب .. وكان ..

كلب يرعى العشب ؟

هل هناك خطأ هنا ؟

نظرت بدقة فوجدت أن أحد الأغنام يركض نحوى وهو يزأر .. ونظرت إلى فمه فوجدت أنيابًا عملاقة ..

تعال إلى صفحة 71 لتتعرف ما حدث

وجدتك أيها الأحمق !!!

كان يمشى هناك الهوينى جوار جدران الكهف .. وقد خفض رأسه وبدا إلى الحزن أقرب ..

صحت مناديًا :

ـ « ويلاااااااااااااارد !! »

نظر للوراء فرآنى وتهلل وجهه نوعًا ..

قلت له وأنا ألحق به لاهثًا :

ـ « تركت المرأة .. يبدو أنك على شىء من المنطق .. »

ثم قلت بلهجة ذات معنى :

ـ « وأدعو الله ألا نكون تخلينا عن آخر أمل لنا .. »

قال وهو يخرج زمزميته ويفك غطاءها :

ـ « اسمع .. نحن نتحرك فى الظلام ولا نعرف ما هو صواب ولا ما هو خطأ .. علينا أن نتمسك بأدنى درجة من المنطق وهذا أقل شىء ممكن ، والمنطق يقول : لا تثق بامرأة لا تعرفها تطالبك بأن تتبعها .. هذا هو ما كانوا يعلمونه لنا ونحن أطفال ، ولا أعرف لماذا يجب أن ننساه الآن . »

كان كلامه منطقيًا ..

وهكذا قلت له أن يتناسى ما حدث ، ولنواصل مسيرتنا تلك .. لقد خرجنا من تلك الساحة التى كان فيها الهرم ، وخرجنا فى ذلك النهر غريب الأطوار . الآن ليست لدينا على الإطلاق أية فكرة عن الاتجاه الجديد ..

قال لى باسمًا :

ـ « على الأقل ثمة مزية واحدة .. ما زلنا معًا .. ما زلنا حيين .. أعتقد أن ما بقى سهل !! »

قلت ضاحكًا :

ـ « فعلاً .. أشعر أن مشاكلنا انتهت ! »

تعال إلى صفحة 114 من أجل مزيد من المرح

بعد تفكير وجدت أن كلام الفتى على قدر من الحكمة .. كل حياتى كانت إرواء لفضول لا يرتوى .. فلماذا أتراجع الآن ؟ لم أكن شجاعًا قط .. أنا فقط أكثر الناس فضولاً على ظهر الأرض ..

هكذا اجتزنا الباب أو الجدار الذى أعد لأمثالنا من مئات الأعوام ..

من جديد كانت هناك قاعة مظلمة ، بصعوبة يستطيع الشعاع من الكشاف أن يرينا ما بها ..

يمكنك أن تتبين أن هناك صندوقًا فى وسط القاعة .. بشىء من الخيال يمكن أن تعتبره تابوتًا ..

نظرت إلى الأرض .. لا توجد فخاخ لا نراها ..

كالمسحورين نتقدم نحو ذلك الصندوق أو التابوت .. أعتقد أننا سنفتحه .. على قدر علمى لم يوجد بعد الإنسان الذى يتحمل إغراء أن يفتح صندوقًا مغلقًا .. ليس واحدًا .. الآن أدرك أنهما صندوقان ..

فى هذه اللحظة شهق (ويلارد) .. نظرت له فوجدته ينظر لركن القاعة خائفًا ..

هناك شخص يقف هناك ..

كان هذا هو لقاءنا الأول ـ ولعله الأخير ـ مع العراف .. أصفه لك ؟ كيف أصف من لم أره بوضوح قط ؟ إن لهذا الرجل مزية

فريدة تجعله يمتص الضوء فلا يعكس شيئًا .. فقط أنت ترى حدود جسده وترى عباءته المنسدلة وتسمع صوته .. وكل هذا لا يبعث الراحة فى النفس ..

قبل أن أصرخ أو أقول شيئًا بدأ يتكلم ..

أخفض صوتك واذهب إلى صفحة 97 لتعرف ما يقول لنا ..

بصوت كأنه بالوعة الحمام إذا انتزعت السدادة ، وبنبرات هادئة واثقة ، وبلغة إنجليزية شكسبيرية عتيقة قال :

ـ « فقط واهنو القلوب وغير المتبصرين يفتحون الصندوق الخطأ .. أحدهما هو الصواب ، ولسوف تلقى فيه روح المعرفة التى جئت تطلبها أيها الغريب .. والآخر هو شيطان العذاب الحبيس .. الخيار خيارك .. فلتكن لك بصيرة العراف ، وحدة بصر الصقر ، وثبات قلب أسود البرية .. (سحكيال) .. (سحكيال) ... »

أرجو أن تتجه إلى صفحة 161 لتدون هذه التعويذة .. لا تنس أن تدون كل تعويذة سمعتها .. هذا قد يفيد ..

قلت بصوت مرتجف :

ـ « ولكن لماذا نفتح أحد الصندوقين ؟ »

لكنى لم ألق ردًا ، لأن الظلام غمر ذلك الجزء من القاعة .. لقد تلاشى المتكلم ببساطة .. أكره أسلوب الرعب البريطانى هذا .. رعب الأشياء التى تتحرك عند زاوية الإبصار ، حتى تحسب أنك مجنون .. هذا رعب تخصص فيه (هنرى جيمس) برغم أنه أمريكى ..

بحثت عن (ويلارد) فلم أجده .. وثب قلبى إلى فمى .. لكنى إذ دققت النظر رأيت أنه منكمش فى الركن يرتجف كأنه قط رضيع نبح كلب فى وجهه ..

قلت له في غيظ :

ـ « لم تر شيئًا من هذا في الممر الآخر ؟ »

ـ « لـــ .. لـــ .. لا .. لا .. »

تبًا للحماقة ! ما الذي رآه إذن ؟ من الواضح أن الممر الأيمن يستخدم الآن كمدينة ملاه للأطفال .. لا بد أنه مفروش بالورود ..

قلت في حزم :

ـ « أعتقد أن المزاح انتهى عند هذا الحد .. سنعود .. »

قال وهو مستمر في الرجفة :

ـ « هذا ما كنت أفكر فيه حين نظرت إلى الوراء .. »

ونظرت إلى الوراء لأرى ما يتكلم عنه ..

بالفعل .. لقد صار الجدار مغلقًا .. لم تعد هناك أبواب .. نحن في قبر حقيقي بلا نوافذ ولا أبواب .. حتى الرافعة التي أدارها لم يعد لها وجود .. لا أصدق أننا دخلنا لكن هذا حدث .. رحت أبحث عن ثغرة أخرى في الجدران بلا جدوى ، ونظرت له فوجدته يراقب جهدي في رعب .. أخيرًا قال :

ـ « ولكن كيف دخل هذا الذي دخل ؟ »

ـ « أنا أمقت الأسئلة الغبية .. الرجل ظهر من فراغ وذهب إلى فراغ ، وبرغم هذا تسأل عن كيفية دخوله ؟ »

ثم حككت رأسي .. الموقف مقلق .. هذا المكان ضيق ولا أحسبه يتسع لهواء كثير ، والكشاف لن يلبث أن ينتهي .. لا بد من عمل سريع ..

قلت له مفكرًا :

ـ « هل تريد رأيي ؟ لا بد من فتح أحد الصندوقين ! »

هب في عصبية :

ـ « هل جننت ؟ »

ـ « بالعكس .. من الواضح أن هذا أملنا الوحيد .. هذا الرجل يعطي نصائح تعليمية للحمقى .. »

ووقفت أتأملهما على ضوء الكشاف .. كانا من الخشب العتيق .. وقد تآكلا بشدة إلى حد أنك تستطيع نزع الغطاء بأظفارك .. لكن فكرة التابوتين لم تفارق ذهني قط ..

ركعت جوار التابوت الأول ومددت أظفاري .. كان الأمر عسيرًا نوعًا على عكس ما توقعت أولاً ، فبحثت في حقيبتي عن عتلة .. كانت هناك واحدة .

صاح بي في جنون :

ـ « أنت أكثر خبالاً مما توقعت .. »

لم أرد وواصلت معالجة الخشب حتى بدأت أرى ثغرة تتيح لى رؤية ما بالداخل لو كانت الإضاءة أفضل .. فى مصر نقول (النهار له عينان) .. فعلاً كل شىء يصير واضحًا سهلاً فى ضوء الشمس الودود الصريح ..

وفجأة تراجعت للوراء مذعورًا ..

لقد وثب شىء ما من الداخل .. واندفع يركض فوق أرض القاعة .. لا أعرف ما هو لأنه تحرك بسرعة مروعة ، لكنه انطبع فى شبكيتى كأنه عنكبوت أسود عملاق ..

ثم فى اللحظة التالية وثب آخر فى وجهى ، ونهضت وأنا أطلق السباب .. وحاولت أن ألحق به ركلاً لكنه توارى فى الظلام بنفس السرعة التى توارى بها العراف ..

ـ « هذا التابوت يعج بها ! »

ـ « ما هى ؟ »

ـ « كيف لى أن أعرف ؟ »

واتجهت إلى التابوت التالى .. وبحذر هذه المرة أولجت العتلة تحت الخشب المتآكل .. كنت منهكًا فطلبت العون من (ويلارد) .. دنا منى فى حذر .. ثم سلط الكشاف على الغطاء ، وهمس :

ـ « أعتقد أنه الصحيح .. »

ـ « لماذا ؟ »

أشار إلى حروف مكتوبة بخط دقيق لا يقرأ على حافته .. وتبينت كلمة تقول :

EXO ... D ...

ما شاء الله ! هؤلاء القوم يجيدون الهيروغليفية واللاتينية ، فلن أندهش لو وجدت أنهم يستعملون لغة (الإسبرانتو) كذلك ..

قال لى مفسرًا :

ـ « حروف من لفظة Exodus اللاتينية .. أى الخروج .. كما فى سفر الخروج فى التوراة . لقد طلب منا العراف أن نكون حديدى البصر ونلاحظ كل شىء .. لولاى ما كنا لمحنا هذه الكلمة .. »

قلت فى غيظ :

ـ « يا سلام ! ولماذا لا تكون Exordium ؟ أى المقدمة ؟ أنا طبيب ولست حمارًا فى اللاتينية إلى هذا الحد .. ممكن أن تكون هذه (بداية) متاعبنا لا (خروجنا) منها .. »

ثم أضفت بعد تفكير :

ـ « لاحظ أن الصندوق الأول مفزع بما يكفى .. وقد جبنا عن فتحه بينما (الجبناء يفتحون الصندوق الخطأ) .. هذا ما قاله الرجل . لقد طالبنا بأن نتحلى بشجاعة الأسود .. ونحن بحاجة لشجاعة الأسود كى نفتح الصندوق الأول .. »

بدت عليه الحيرة ، وقال :

ـ « يا إلهى .. هذا صحيح .. لماذا لم يعطنا تعليمات واضحة ؟ »

ـ « كل العرافين يتصرفون بهذا الغموض .. إن حسهم الدرامى عال حقًا .. والآن ما هو قرارك ؟ أنا لست مسئولاً عن نفسى فقط .. »

ـ « وماذا كنت ستفعل لو كنت وحدك ؟ »

ـ « كنت سأختار الصندوق الأول الملىء بالأجسام السوداء الراكضة .. وأتحمل النتيجة .. على كل حال كانت حياتى سلسلة من عمليات اختيار الصندوق الخطأ .. »

ابتسم فى ضوء الكشاف وقال :

ـ « هذا يجعلنى لا أتردد مرتين .. لكنى مسئول عنك كذلك .. لن أرغمك على اختيارى .. »

ولبثنا دقائق فى الظلام نفكر فى الخطوة التالية ..

لو اخترت الصندوق الأول اتجه إلى صفحة 263

لو اخترت الصندوق الثاني فعليك بصفحة 176

حسن .. جرب أن تقرع أى رقم إذن ولكن بحذر ..

اضغط على الأرقام المحفورة فى الصخر .. الآلة الكاتبة الحجرية التى ظلت غافية عدة قرون ..

ونظرت إلى (ويلارد) وساد صمت رهيب ..

لم يحدث شىء ..

قلت له فى غيظ :

ـ « إما أنك لا تفقه شيئًا فى اللاتينية ، وإما أن هذه دعابة سمجة من .. »

هنا بدأت الأرض ترتج ..

كل هذا التكوين الغريب يهتز وبإصرار عجيب ..

لا أعرف معنى هذا لكن من المؤكد أن هناك خطأ ما ..

ومن بعيد رأيت تمثالاً يتهاوى .. لا ليس تمثالاً بل هو جدار كامل .. ثم بدأت قطع من الحجارة الصغيرة تهوى فوقنا ..

فليكف هذا الاهتزاز ! فليكف !

لسنا فى أنسب مكان ممكن للتعرض لهذا الـ ....

فجأة هوى شىء ما عملاق من أعلى ، وفى اللحظة التالية لم أر (ويلارد) .. لقد تلاشى وسط سحابة من الغبار ..

وحين انقشع هذا أخيرًا أدركت أنه صار مدفونًا تحت كومة مخيفة من الحجارة المهشمة ، وبقايا التماثيل ..!

لا جدوى من محاولة رفع هذه البقايا ، ولو استطعت فمن المستحيل أن أجده حيًا ..

لدى وقت مناسب للهستيريا فيما بعد ، أما الآن فعلى الابتعاد ..

لا .. لم تكن دعابة سمجة .. كانت حيلة أمنية متقنة .. من يعبث بالأرقام يجازف بفقدان كل شىء .. لقد اخترنا الأرقام الخطأ .. وهذا لا يؤدى إلى انطلاق صفارات الإنذار ، بل يؤدى إلى نسف المصرف كله هذه المرة !

و ....

ماذا حدث ؟

متى حدث هذا ؟

متى انفتح هذا الأخدود ؟ لا أعرف ..

لكنى سقطت فيه بالتأكيد .. ومن المؤكد أننى على عمق ثلاثة أمتار تحت مستوى الأرض التى كنت أقف عليها ..

هل أخبرك بشىء آخر ؟ على الأرجح قد تهشمت ساقى ، فأنا لا أعتقد أن هذا الوضع التشريحى صحيح ..

الأرض تهتز بذات الإصرار السابق ..

إن الكشاف ما زال جوارى .. صحيح أنه يهتز ويحاول أن يموت ، لكنى أبقيه بأية وسيلة ممكنة .. لم أجر قط عملية إنعاش بهذه الأهمية الحيوية ..

أريد أن يبقى معى ربع ساعة أدون فيها هذه الكلمات بخط لا يقرأ ..

لا أعتقد أن الأمر كان دعابة سخيفة .. فقط أعتقد أنك أخطأت حل اللغز ، أو لم تحل اللغز وقررت تجربة حظك .. يمكنك أن تلوم نفسك فيما بعد على أنك أخطأت ، أو تلوم نفسك على أنك كذبت ..

الأمر سيان على كل حال ..

اهتزاز آخر .. أعتقد أن هذا الأخدود سينغلق ثانية وأنا فى داخله ..

إن الأخ (دراجوسان) لم يكن يمزح ..

نعم .. بالفعل .. إنه ينغلق فعلاً ! أكره أن أكون على صواب فى كل مرة ، خاصة هذه المرة .. لكن الأمر كذلك ..

اهتزاز آخر .. يبدو أن هذه هى المرة الأخيـــ ....

[تمـــت]

اخترقت الطعنة ظهر (دراجوسان) ..

فى هذه اللحظة دوت صرخته .. ثم راح لسانه المشقوق يخرج ويدخل فمه كأية كوبرا تحترم نفسها ..

التفت لى وكانت عيناه بلون الدم ..

مد لى يده بتلك الطريقة ، وكنت قد بلغت ذروة الهستيريا والرعب فأولجت السكين من جديد فيه ..

هذه المرة شعرت بأن شيئًا مريعًا ينفجر من داخله ..

الآن فهمت لماذا يدعى بـ (التنين) ..

هذا الرجل كان تنينًا آدميًا حقًا ، وملامحه الآن تقول هذا بوضوح تام ..

راح يتلوى ويصرخ .. وكان اصطدامه بك فى لحظة كهذه لا يعنى إلا الموت ..

ولا بد أن عشر دقائق من الاحتضار قد مرت قبل أن يسقط بلا حراك .

ولا بد أن عشر دقائق أخرى مرت قبل أن نجسر نحن على الحراك ..

رفع (ويلارد) قدمه ليخطو من فوق الجثة التى استطالت بطريقة غريبة ، فصحت كالمجنون :

ـ « لا تفعل يا أحمق ! لا تخط فوق جثة المسخ أبدًا .. ألا ترى أفلام الرعب ؟ سوف ينهض ويمسك بقدمك ! »

كان هذا كافيًا كى يدور من حوله ..

كنا نرتجف كطفلين بينما ذلك الشىء يتنفس كبركان .. سكرات احتضار أقرب إلى غليان الحمم ..

وفجأة رأينا تلك البذرة المخيفة التى كانت على طرف لسانه تزحف على الأرض .. كانت تتجه نحونا ! كأنها كائن بروتوبلازمى لزج مقزز ..

صحت فى (ويلارد) ونحن نبتعد عنها :

ـ « أعتقد أنها مصممة على الدخول فى أحدنا ! تعال نفر من هنا ! »

ولكن إلى أين ؟

قال لي :

ـ « تذكر كلمات الرجل .. هناك ممر سرى بين هذه القاعة وقصره .. »

ـ « وأين هذا القصر ؟ »

- « لقد صار خرائب .. إن بلدية القرية تقع فى ذلك الموضع بالضبط .. لكن لبناية البلدية قبوًا ، وأنا أميل إلى الظن بأن هذا هو الطرف الآخر للممر .. »

هذا جميل .. لا يخلو كلامه من منطق .. لربما كان هذا هو الحل فعلاً ..

قلت له :

- « والطرف الآخر ؟ حسبت هذا هو الأهم .. »

راح يتأمل القاعة بعينيه الزائغتين .. ثم اتجه إلى أحد الرفوف .. انتزع كتاب (نيكرونيمكون) الذى كان يطالعه منذ قليل ، ومد يده مبسوطة إلى آخرها فى الفتحة التى تركها الكتاب ، وضغط ..

عندها حدث ما كنت أتوقعه ..

لقد انفتحت الأرض ببطء شديد ..

كأنها بالوعة كانت مغطاة ثم انكشف غطاؤها ..

ثمة تجويف يقود لأسفل .. وقد انفتح لدى الضغط على رافعة ما ..

قال لى :

- « ما رأيك ؟ »

والآن تعال إلى صفحة 124

هذا الكهف حى !

كنت أشك فى ذلك لكنى الآن على يقين منه ..

لماذا يرتفع قاع الكهف ليلاقى سقفه بتلك الحركات المنتظمة من حين لآخر ؟ تشعر أن هذا هو ذاته إيقاع التنفس ..

تخطو خطوة أخرى فتتلقى سعلة قوية ويقذف بك إلى الوراء ..

لقد هيجت مجاريه التنفسية !

(ويلارد) ليس هنا يا صديقى ..

أقترح أن تبحث عن احتمال آخر ..

ما زالت عندك الصفحات 20 أو 35 او 48 أو63 أو 93 أو 123

إن كنت قد استنفدت محاولاتك الثلاث .. فعد إلى صفحة 31

إن القواعد فى هذه القصص ثابتة : لا تستسلم للنوم أبدًا فى مكان غريب ..

طبعًا لم يخطر هذا بذهنى حين سقط رأسى وغبت عن العالم ..

خ خ خ خ !!

أنا فى دارى بالقاهرة .. لسعة البرد هذه محببة ، لذا أرفع الغطاء قليلاً ليخفى أذنى .. لذيذ أن تعرف أن الخارج قارس البرد وأن الداخل دافئ .. وأنك فى أمان ..

خ خ خ خ !

أنا هنا فى كهف غريب فى (أسكتلندا) .. كهف لعين يحمل كل سمات الكوابيس .. نائم فى كوخ لا أعرف صاحبه .. هذا البرد حقيقى وليس وهمًا ..

أصحاب الكوخ قد جاءوا .. إنهم يتكلمون .. لا أجسر على فتح عينى .. لا أريد أن أرى وجوههم ..

إن (ويلارد) نائم وأنا أتظاهر بذلك .. لا .. أنا نائم فعلاً ..

★ ★ ★

حين فتحت عينى كنت راقدًا على الكلأ ..

كنت أرى السماء .. أرى النجوم ..

لقد خرجت .. لا أعرف كيف لكنى فعلتها .. ولكن أين (ويلارد) ؟ أين الجميع ؟

إننى أرى القرية من بعيد ..

يمكننى أن أقطع هذه المسافة وأطلب نجدة أنا أذكر ما مررنا به ولسوف ينقذون (ويلارد) ..

نهضت .. ولكن أثار دهشتى أن هناك من كان يرقد على الكلأ بجوارى .. من هو ؟

دنوت منه أكثر فرأيت أنه رجل نحيل أصلع الرأس .. هذه جثة ممزقة بعنف .. من هو ؟

أصلع نحيل ؟ هذه الملامح لا تبدو غريبة على ..

إنه أنا !

ما معنى هذا ؟ إننى أمشى من حوله شاعرًا بخفة غير عادية .. لا أرى أى ظل لى .. لو توخيت الدقة فى الوصف لقلت إننى .. شبح ؟

لا .. الأمور لا تتم هكذا ولا بهذه السهولة ..

صرخت ورحت أبحث عن نجدة ..

من هذا الميت إذا لم يكن أنا ؟

ما نوع المعاملة الرهيبة التى تلقيتها و نائم ؟

هل قتلونى ؟ من هم ؟ وإذن من أنا الآن ؟

وفى جزع رأيت الرجال يأتون .. يتفحصون الجثة .. رأيتهم يهزون رءوسهم فى أسى .. هذا حق !

إنهم يحملوننى .. لا .. لا تفعلوا هذا .. من هاجمنى أثناء نومى ؟ ما الخطأ الفاحش الذى وقعت فيه ؟ هل أنا ميت حقًا ؟ مستحيل ..

* * *

فرغ الوسيط من جلسته وكف القلم عن الكتابة ..

كنت أقف هناك خلف ظهره أرقب الورقة .. لقد كتب القصة كلها .. لا أعرف لماذا تحمست لكننى أردت أن يعرف الجميع الحقيقة ..

قال لمن معه :

ـ « يمكن القول إنه لا يعرف كيف هلك .. ثمة جزء مفقود فى اللحظات التى نام فيها .. »

ثم أردف وهو يغلق الدفتر المفتوح :

ـ « على كل حال هو كرر ما قلناه مرارًا .. يوجد سر مخيف فى كهوف (دراجوسان) ومن الخير لنا أن نبتعد عنها .. »

سأله العمدة وهو يراجع المذكرات التى تحكى كل شىء بالتفصيل ..

ـ « هو إذن لا يعرف أين (ويلارد) ولا أين اختفى ؟ »

قال الوسيط وهو يشعل سيجارًا :

ـ « معلوماته فى هذا الصدد هى معلوماتنا .. لن يضيف جديدًا .. لقد دخل كهوف (دراجوسان) وتوغل كثيرًا جدًا ، لكنه نام حيث لا يجب أن ينام ..أما عما حدث فعلاً فلا أعرف .. »

وهكذا جمع الجالسون أوراقهم .. (ماجى) العزيزة تبكى بلا انقطاع .. وقفت جوارها وحاولت أن أشرح لها أننى بخير .. لكن كيف ؟ أنا لست بخير ..

الجالسون يخرجون من الغرفة وأنا أصرخ بصوت لا يسمعه سواى :

ـ « وماذا عنى أنا ؟ ماذا عنى أنا ؟ »

ربما كان على ألا أخلد للنوم ..

لماذا لا تعود لصفحة 70 وتجرب احتمالاً آخر ؟

[تمت]

كان ذلك الباب أمامنا ..

باب مغلق ثقيل .. خشبى هو لكنه ذلك الخشب المتآكل الرطب الذى زحف عليه العفن ..

إنه موصد .. لكن وجود باب هنا أمر مغر ، فمن المعلومات التى اكتسبها الإنسان بعد هذا العمر أن كل الأبواب تقود إلى مكان ما ..

بدلاً من قفل الباب كان هناك قرص رقمى يمكن أن تضغط عليه بترتيب معين .. يبدو أن هذا الكهف يعرف الخزانات والأبواب والحقائب ذات الأرقام السرية قبل أن توجد ..

فجأة شعرنا فى المكان بشخص لا نراه لكن نرى حدود جسده وعباءته المنسدلة ونسمع صوته الذى لا يبعث الراحة فى النفس ..

بصوت كأنه بالوعة الحمام إذا انتزعت السدادة ، وبنبرات هادئة واثقة ، وبلغة إنجليزية شكسبيرية عتيقة قال :

ـ خلف الباب قد يوجد خلاصك وقد يوجد فناؤك النهائى .. تمهل وأحسن الاختيار .. تذكر ما قيل لتعرف ما سيقال .. تذكر ما كان لتعرف ما سيكون .. أبراكساس .. أبراكساس .. »

ثم توارى فى الظلام .. إنه عراف هذه الكهوف ..

صحت فى غيظ :

ـ « يبدو أنه لم ينو أن يقول كلمة واحدة واضحة .. »

سألنى (ويلارد) :

ـ « ما هذا الاسم الذى قاله ؟ »

ـ « ماذا تظن ؟ طبعًا واحد من شياطين العالم السفلى كما عرفتهم كتب سحر القرون الوسطى .. »

أرجو أن تتجه إلى صفحة 161 لتدون هذه التعويذة .. لا تنس أن تدون كل تعويذة سمعتها .. هذا قد يفيد ..

خطرت لى فكرة لا بأس بها .. القرص لا يحوى حروفًا لكنه يحوى أرقامًا .. ماذا لو جربنا الترتيب الهجائى لكلمة (أبراكساس) طبعًا فى صورتها اللاتينية ؟

ABRAXAS

إذن جرب يا (ويلارد) رقم 1 ثم 2 ثم 19 ثم ..

قال مصححًا :

ـ « ثمانية عشر .. بعد الاثنين رقم ثمانية عشر .. »

رحت أعد على أصابعى .. تبًا ! بعد كل هذه الأعوام وإجادتى للإنجليزية إجادة شبه تامة ما زلت أخطئ فى ترتيب الحروف .. ليكن .. جرب بعد 18 رقم 1 ثم 24 .. ثم 1 .. ثم 19 ..

هنا سمعنا تلك (التكة) الرهيبة ..

وانفتح الباب قليلاً ..

قال (ويلارد) وهو يبتلع ريقه :

- « كلما حسبتك حمارًا عجوزًا اتضح لى أنك لم تصل لهذا بعد .. »

قلت له وأنا أتحسس الباب :

- « ما زال الخطر قائمًا .. أنا لا أعرف ما قد يوجد بالداخل .. »

« تذكر ما قيل لتعرف ما سيقال .. تذكر ما كان لتعرف ما سيكون .. »

ما معنى هذا ؟

ليتنى أعرف ..

على كل حال كان الباب يدعونا للدخول ولم تكن لدى واحد منا نية للتراجع .. ربما كان هذا هو المخرج الوحيد فعلاً ..

فتحنا الباب ببطء و ..

على الضوء الخافت كانت هناك قاعة متسعة .. قاعة تمتد إلى آخر مجال البصر ، لكن كل شىء يدل على أنها مكتبة .. كتب عتيقة متراصة على رفوف فى كل صوب ..

دخلنا فى حذر .. كانت هناك منضدة عليها مجلد مفتوح .. وكانت هناك شمعة غليظة مطفأة ذابت حتى منتصفها .. وكانت هناك دواة فيها ريشة ..

على المنضدة هناك جمجمة بشرية تضحك ضحكة الموت الماجنة الشريرة .. أما عن الكتب فحدث ولا حرج .. كلها كتب سحر عتيقة ..

هتف (ويلارد) وهو يتأمل كعب كتاب منها :

- « (نيكرونوميكون) ! هل له وجود حقيقى ؟ كنت أحسبه وليد خيال (لافكرافت) فقط .. »

قلت وأنا أجيل البصر حولى :

- « ما من أحد يعرف الحقيقة يقينًا .. لقد ألصق الرجل هذا الكتاب بشاعر يمنى اسمه (عبد الله الحظرد) .. لكن كثيرين يعتقدون أنه موجود وأن السلطات الدينية فى أوروبا تحتفظ به كى لا يتعامل معه مخبول ما .. »

ثم أضفت :

- « على كل حال واضح أننا فى غرفة مكتب السيد (دراجوسان) شخصيًا .. »

هل أخبره ؟

لا .. لا داعى لذلك ..

أنا مخرف عجوز وقد أكون واهمًا ..

لا داعى لإثارة ذعره ..

ما لن أقوله له هو أن الدواة مليئة بالحبر وأن الكتاب المفتوح نظيف بلا غبار عليه .. هذا لا يمكن أن يكون لو كنا نتحدث عن ساحر هلك منذ قرون ..

هناك من يدخل هذه الحجرة بانتظام ..

من هو ؟ ماذا يريد ؟

تجولت فى الغرفة ، ثم وجدت ستارًا رثًا سميكًا فأزحته ..

نعم .. هذا معقول ..

الآن وجدت تفسير تلك الرائحة العضوية التى أشمها منذ جئنا هنا ..

إن هذه المكتبة تناسب تصورى العام لمكتبة الساحر التى تستعمل فى الوقت ذاته لإجراء التجارب (لافكرافتية) الطابع .. ومن هذه التجارب النيكرومانسى **Necromancy** ..

لا يجب أن يرى (ويلارد) هذا . لا يجب أن يراه ..

أعدت الستار إلى مكانه وعدت إلى حيث كان يتفقد الكتب ..

قلت له وأنا أتلفت حولى :

ـ « أعتقد أن علينا الخروج من هنا حالاً .. »

ـ « هل وجدت شيئًا غريبًا ؟ »

ـ « لا .. لكن خلاصنا لن يبدأ من هذه القاعة .. »

ـ « لكن هذه الكتب ثروة .. »

قالها وهو يحاول جمع بعضها ، فأعدتها إلى الرف فى حزم وقلت :

ـ « لن نأخذ أى شىء .. فقط تعال إلى الباب ولنبحث عن مسار آخر .. »

صوت الأنين هذا ..

صوت الأنين من وراء الستار ..

قال (ويلارد) وهو يلتفت فى حماس :

ـ « هناك شخص هنا .. لا بد من أن أعرف .. »

ـ « قلت لك ألا تحاول .. »

مد يده محاولاً أن يزيح الستار عندما توقف ..

لقد سمعنا صوت النحنحة قادمًا من ورائنا ..

التفت (ويلارد) إلى الوراء فكان أن رأى ما رأيته ..

ذلك الرجل الجالس إلى المكتب .. غارقًا فى الظلال وقد أضاء الشمعة وعاد إلى الكتابة .. كأننا لا وجود لنا على الإطلاق ..

تبادلنا النظرات الصامتة ثم دنونا أكثر لنرى من هو ..

ذلك الوجه الغارق فى الظلال المفعم بالتجاعيد .. تجاعيد زادها اللهب القادم من الشمعة عمقًا .. ثياب عتيقة .. شعر طويل رمادى ينسدل على الكتفين .. حاجبان كثان يغطيان عينيه بالكامل ..

فجأة من دون أن يرفع رأسه قال :

ـ « اقتربا أيها السيدان .. »

كان يتكلم بإنجليزية عتيقة من طراز Thou وThine التى لا تراها إلا فى كتابات (شكسبير) .. وهذا يناسب مظهره لأننى لا أبتلع أن يقول OK أو أى تعبير عصرى آخر ..

وقفنا أمامه فى توتر ، فقال لنا :

ـ « أنا السير (أرشيبالد ماكتاير) ! »

هنا صاح (ويلارد) فى عصبية :

ـ « مستحيل .. الرجل مات منذ قرون بعد ما أغلق هذه الكهوف مع رجاله .. لقد حبس شعبًا كاملاً بالداخل .. »

قال وهو يرفع نحونا ـ للمرة الأولى ـ عينيه الرماديتين الثاقبتين المخيفتين :

ـ « هذا هو ما اعتقده الناس .. لكن أعمارنا لا تقاس بعشرات السنين مثلكم بل تقاس بالقرون .. من هذا المنطلق أنا فى منتصف العمر ! »

قلت فى حدة :

ـ « لا تقل لى إنك خالد لو سمحت ! »

ـ « من تكلم عن الخلود هنا ؟ بل عن اختلاف فى معدلات العمر أتكلم .. فى نظر ذبابة (مايو) قد تبدو السلحفاة خالدة .. لكنها ليست كذلك .. »

كنت على استعداد لأن أصدقه .. ما رأيته فى حياتى يجعلنى أصدقه .. لكن هذا يعنى شيئًا واحدًا : أنه ليس بشريًا ..

نظر لى بعينيه الرماديتين وقال :

ـ « أنت تصدق .. ولك أوجه كلماتى .. إن السير (ماكتاير) و(دراجوسان) العظيم هما الشخص ذاته ! »

هتف (ويلارد) محتجًا :

ـ « وكيف يقوم (دراجوسان) بإغلاق الفتحات على (دراجوسان)؟ »

قال فى تؤدة :

ـ « كنت أنا الإقطاعى الذى يحكم البشر فوق الأرض ، بينما كنت أنا الساحر المرهوب (دراجوسان) الذى يحكم هذه الكهوف .. وكنت أتردد على هذه الكهوف عبر ممر سرى يصل قصرى بهذه القاعة .. أعوام تلو أعوام كان القوم يتعاملون مع الوريث الشاب الجديد من أسرة (ماكتاير) غير عارفين أنه الشخص ذاته .. فقط كنت أعود لشبابى فى كل مرة فيحسبوننى شخصًا جديدًا .. »

وللمرة الأولى ضحك ضحكة .. لكنها كانت صفراء واهنة سقيمة ، وأردف :

ـ « هناك أساليب شنيعة تعلمتها من فن (النكرومانسى) الذى أمارسه هنا .. طبعًا كان هناك الكثير من دم الأطفال والعذارى .. لكن أساليبى بدأت تضعف ، وعرفت أننى لن أملك المزيد من الأعوام ما لم أقم بالتضحية الكبرى .. لا بد من أن يفنى شعبى كله كى يمنحنى المزيد من القرون .. هكذا قدت تلك الحملة التى خلدت اسمى والتى أحالت هذه الكهوف مقبرة كبيرة .. وهكذا استطعت أن أواصل حياتى .. بل إننى كنت أتردد على هذه القاعة بانتظام عالمًا أن البؤساء الذين يموتون جوعًا بالخارج لن يستطيعوا الوصول إلى .. لا أعرف إن كنتم مررتم بممر المومياوات .. تعرفون الآن من أين جاءت .. لقد بدءوا يضعون من ماتوا فى هذه الصفوف .. ثم دبت الفوضى وكان على فى النهاية أن أكمل العملية بنفسى .. أنتم رأيتم الترتيب ونظام التحريك الذى ابتكرته .. لا بد أنه بدا متقنًا .. »

انتقل إلى صفحة 53 لمتابعة هذه المحادثة البهيجة

هذا وكر ثعابين ..

لا تعرف من أين جاء برغم أنك على يقين من أنك لم تضل الطريق ..

ثعابين ملتفة تمتد على مسافة شاسعة ..

هذا الـ (دراجوسان) لم يكن يبخل بالثعابين على عمله ، ويبدو أنه موفق حقًا ..

لا تتوقع أن تجد (ويلارد) هنا ..

تعال نبتعد بسرعة ..

ما زالت عندك الصفحات 20 أو 35 او 48 أو63 أو 93 أو 109

إن كنت قد استنفدت محاولاتك الثلاث .. فعد إلى صفحة 31

لم أرد وأنا أرمق هذا المشهد الرهيب ..

قال (ويلارد) :

ـ « هيا بنا .. »

نظرت له ثم قلت وأنا أتراجع قليلاً :

ـ « بل تقدمنى أنت .. »

كيف عرف كل هذا ؟ لم أرد أن أترك له ظهرى .. سوف أحتاج إلى فترة أطول من اللازم كى أثق بـه من جديد .. وإلى أن يتم ذلك لن أعطيه ظهرى ولن أكون الأول أبدًا ..

هكذا مد يده ليخرج الكشاف من جيبه وانحدر فى الفتحة ..

نظرت حولى ثم اتجهت لأنظر إليه .. كان الآن تحت مستوى قدمى والكشاف فى يده وهو يهبط درجات حجرية غير مريحة .. تذكرك بمنازلنا العتيقة الآيلة للسقوط ..

قررت أن أجازف ونزلت معه ..

وفى ظلام الدرجات سألته :

ـ « كيف عرفت هذا ؟ »

قال وهو يلهث :

ـ « لا أعرف .. أعتقد أننى اكتسبت شيئًا من تفكيره .. لربما استطاع أن يقحم شيئًا منه فى أحشائى ! »

كانت الفكرة تثير الرعب .. هذا هو ما أخشاه بالذات ..

* * *

استغرقت المسيرة ربع ساعة ..

وفى النهاية وجدنا أننا تحت مستوى بالوعة .. دفعنا الغطاء بقوة لنجد أننا فى قبو مظلم ملىء بفئران مندهشة مذعورة ..

قال لى وهو يساعدنى على الخروج :

ـ « ياهووووه ! هذا هو قبو البلدية ! لقد نجونا !! »

لم أصدق أن الأمر بهذه البساطة ..

لا بد من شرك ما ..

لكننا بالفعل خرجنا .. وبعد دقائق كنا نشرح موقفنا لرجل أمن عجوز جاء على صوت الجلبة ..

كان صارمًا لكننا كدنا نقبله إعجابًا بجماله وشاربه الكث ..

لقد دخلنا كهوف (دراجوسان) وغادرناها حيين .. بل قضينا للأبد على (دراجوسان) ..

نحتاج إلى أسبوع من النقاهة حتى نستعيد لياقتنا ..

حتى ننسى هذه التجربة المريعة ..

* * *

لم يصدق أحد حرفًا مما حكيناه ..

كل البلدة تعرف أن كهوف (دراجوسان) لا تتصل بأى شكل بالقبو .. البالوعة تقود إلى المجارى ومعنى خروجنا منها أننا قذران كالخنازير ، لكن هذا لا يعنى أننا بطلان ..

وقد قال لى خادم الفندق :

ـ « سيدى .. أى شخص يستطيع أن يغطس فى البالوعة .. إننا بلد ديموقراطى كما تعرف .. »

وانحنى وانصرف ..

تركته وجلست على حافة الفراش أتأمل قليلاً ..

ثم مددت يدى وبدأت نزع الحذاء .. الحذاء البائس الذى ظل على قدمى كل هذا الوقت ، ولهذا كرهت أن أنزعه إلا منفردًا .. إن حروب الغازات محرمة قانونًا كما تعلم .. أنزع الجورب ..

قدماى بحاجة إلى الراحة ..

قدماى البائستان ..

وهنا رأيت ذلك الشىء الناعم اللزج يختفى تحت ظفر قدمى .. كأنه كان يطل على الخارج ثم رآنى فتوارى ..

وارتجفت رعبًا ..

أنا رأيت هذا الشىء مرتين .. مرة على لسان (دراجوسان) ومرة يزحف فى أرض القاعة بحثًا عنا ..

فهل وجدنا ؟

واضح أنه فعل ..

واضح أنه اخترق حذائى كذلك ..

ولكن ما معنى هذا ؟

نهضت إلى المرآة وتأملت وجهى المنهك المغبر ..

لقد كسب (دراجوسان) ولدًا غير الذى اختاره .. لكنه لم يكن يملك ترف الاختيار ..

إن أمامى مستقبلاً مشرقًا حينما أصحو فى الصباح لأعرف من أنا وما على أن أقوم به ..

أعرف هذا .. أدركه ..

[تمت]

هكذا اتخذت الحل الثانى .. لم يرق هذا لـ (ويلارد) الذى هتف فى غيظ بعينين بلون الدم :

– « أنا لم أنل كفايتى بعد .. »

قلت فى برود :

– « وأنا لم أنل أى شىء بعد .. »

وأشرت للفتى إلى الفراش ، وقلت له إن بوسعه – لو كان لا يرغب فى النوم – أن يغمض عينيه فحسب لأن وقتًا عصيبًا ينتظرنا ..

كان غير راغب فى النوم فعلاً ، لأن شخيره ارتفع بعد ثلاث ثوان .. نظرت للفتاة وقلت :

– « صديقك هذا نقى الضمير فعلاً .. »

نظرت له فى اعتزاز وقالت :

– « (جون) ؟ إنه ملاك .. »

لكنه ملاك من الطراز الذى لا يستطيع النوم إلا لو فتح ذراعيه وساقيه إلى أقصى مدى لهما .. الطراز الذى لا ينام جوارك إلا إذا تأكد من أنه يغرس كوعه فى معدتك ، مع رفع ساقه النحيلة العظمية فى الهواء لبضع ثوان ، ثم تركها تسقط فوقك كأنه حد

المقصلة يهوى فوق عنق (مارى انطوانيت) .. الطراز الذى لا بد أن يدس ركبته فى طحالك وإلا أقلقت راحته ..

هكذا – بعد ثوان من التعذيب – أعلنت أننى سأنام على الأرض ..

قال (ويلارد) :

– « سأجلس أنا و(إلسا) فى الخارج .. لا تقلقا لو صحوتما فلم تجدانا .. إننا لن .. كما .. ت .. س .. ن .. »

طبعًا ابتعد صوته حتى تلاشى ..

تعال إلى صفحة 42 من فضلك ..

لقد تحمل قلبى المعاناة وإنها لمعجزة .. كنت أهاب اللحظة التى يتخلى فيها عنى ، وعندها اصير عاجزًا تمامًا ..

لكن .. هل هذا مفيد حقًا ؟

إن الصدمة العصبية التى تصيب من يحترقون أو يسقطون من عل ، هى رحمة إلهية لأنها تقتلهم قبل أن تقتلهم النار أو السقطة ذاتها .. فما جدوى أن تظل حيًا بين أنياب أسد ؟ خاصة إذا كان أسدًا آدميًا ..

ما هذه الفتاة ؟ وما هذا الكابوس ؟

إن الأنياب دانية من وجهى .. الفم مفتوح عن آخره .. لكن الجسد جسد فتاة .. إنه واهن لا يتفوق على فى القوة ولا أتفوق عليه ..

« وإذا فغر فاه فلتقحم رأسك فيه .. »

العراف قال هذا .. هل هو مجاز أم كان يعنى ما يقول ؟

لا توجد إلا طريقة واحدة لإثبات هذا .. رفعت رأسى وحاولت جاهدًا أن أقحمه بين الفكين ..

غريب .. إن الجسد يتراخى ..

قررت أن أختبر حظى أكثر فصحت بأعلى صوتى :

ـ « نافاح ! نافاح ! »

هنا بدأ الوحش الذى ينقض على يهدأ .. بلغ درجة من الضعف سمحت لى بأن أسقطه من فوقى ..

وقفت لاهثًا وابتلعت بعض الأقراص التى قد تبقينى حيًا لفترة أخرى .. الجسد يتمرغ فى التراب على الضوء الأحمر .. يئن ..

أرى تحولات غريبة تحدث .. إنها تعود إلى حالها القديم .. ملامح الفتاة تولد من جديد ..

قالت لى وهى تبكى :

ـ « ماذا حدث لى ؟ ماذا حدث لى ؟ »

قلت وأنا أتراجع بظهرى لأستند إلى الكوخ :

ـ « لا أعرف .. كنت تريدين الفتك بى .. »

هتفت غير مصدقة :

ـ « أنا أفتك بك ؟ مستحيل ! »

ـ « أتمنى لو كنت صادقة ، لكننا معشر العرب نقول : كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟ »

وتحسست الخدوش التى ملأت وجهى وساعدى .. ربما كانت صادقة .. ربما كانت ممسوسة .. لكن حين أرقد جثة مشوهة ممزقة لن تهمنى نيتها ، كما لا أبالى إن كان سائق السيارة التى دهمتنى وقتلتنى قاتلاً مأجورًا أم مجرد شاب مستهتر ..

قالت وهى تتشمم الجو :

ـ « الهواء نفسه ملوث بالسحر .. لا بد أن وعيى قد استلب .. »

ـ « يسهل قول هذا .. لكنك تحولت إلى أسد ! »

ـ « تحولت إلى ماذا ؟ »

ـ « لا عليك .. لن تصدقى حرفًا .. »

ومددت يدى إلى الحقيبة ، وأخرجت مدية منها ولوحت بها فى وجهها وقلت :

ـ « لو كنت أستطيع إيذاء دجاجة لقتلتك وضمنت سلامتى ، لكن هذا كلام أقرب للهلوسة .. كل ما أستطيع قوله هو إننى لا أريد أن تتبعينى .. لو لحقت بى لاضطررت آسفًا إلى استعمال هذا السلاح .. »

هتفت غير مصدقة :

ـ « هل تتركنى وحدى فى هذا التيه الكابوسى ؟ »

ـ « لا أملك ترف الاختيار .. ستبقين فى الكوخ .. إنه آمن نوعًا بينما أواصل أنا رحلتى .. »

كان قلبى يتمزق .. بالفعل هذا خيار عسير .. لكن ماذا لو تحولت الفتاة إلى ديناصور فجأة ؟ ماذا لو كانت شيطانًا متخفيًا ؟ وماذا لو كانت بريئة لكن مسًا يستطيع أن يجعلها خطرة ؟

كنت غارقًا فى هذه الخواطر حين رأيت شيئًا ما فى الأفق حيث تنتهى البيوت ..

إنهما رجلان ! بالتحديد (ويلارد) والفتى !

لقد عادا ! حمدًا لله !

وقفت ألوح لهما وهما يدنوان .. وفى النهاية التقينا فكان لقاء شديد الحرارة .. سألنى (ويلارد) عن سبب الجروح ، فقلت له بلا مبالاة :

ـ « كنت أصارع أسدًا .. دعك من هذه السخافات وقل لى .. لماذا رحلتما ؟ »

قال الفتى وهو يجفف عرقه :

ـ « لقد مر رجل أمام الكوخ .. مر بسرعة عجيبة ، فغادرنا المكان فورًا كى نلحق به .. »

ـ « كان عليكما أن توقظانا .. ليس من الحكمة ترك المعسكر بينما الرفاق نيام .. هب أنه كان فخًا .. »

قال (ويلارد) فى حرج :

ـ « لم يترك لنا فرصة لإيقاظ أحد .. »

ـ « والنتيجة ؟ »

قال الفتى وهو يطوق كتف حبيبته التى كانت أسدًا :

ـ « لا نتيجة .. لم نلحق به .. لكن هناك أخدودًا كبيرًا بعد مجموعة البيوت هذه .. فى هذا الأخدود يجرى نهر من (الماجما) .. الحمم البركانية .. »

ـ « لا بد من (ماجما) .. القصة دائمًا هكذا .. دعك من أن كل هذا سينفجر فى نهاية القصة .. »

هنا أشار لى (ويلارد) من طرف خفى كى نبتعد ..

تعال إلى صفحة 238 لنسمع ما سيقوله بعيداً عن الشابين

أنت بارع حقًا !

أعتذر عن تشككى السابق ، فقد حسبت أنك حللت اللغز بطريقة (الفهلوة) الشهيرة .. من يدرى ؟ ربما بحثت أنت عن الصفحة التى أهنتك فيها على معرفة اللغز !

لقد قمنا بضغط الرقم على ظهر التمثال .. ثمة شىء يحدث هنا ..

لقد انفتح الباب .

جرب معى هذه القشعريرة الرهيبة ، ولا تخجل منها .. إنها شىء متوقع لدى معرفتك أن هذا الباب لم يفتح منذ مئات السنين ..

لا أعرف إن كان هذا من حسن حظنا ، لكننا نجحنا ..

نظرت للوراء ، وقلت لـ (ويلارد) :

ـ « تقدمنى .. إنها فكرتك على كل حال .. »

أمامنا ممر .. ممر طويل مظلم .. لا أرى شيئًا على الجانبين .. لقد سئمت هذه الممرات ذات الأبواب التى تنغلق من خلفك ، لكن المشكلة هى أننا لا نملك التراجع ..

مشينا .. ومشينا .. ومشينا ..

ثم بدأ المشهد يتغير نوعًا .. الحقيقة أننا كنا نمر الآن وسط مجموعة من الرفوف الجدارية ، وكانت الرفوف مليئة بالمومياوات التى اتخذت وضع القرفصاء .. الركبتان مضمومتان إلى الصدر والكفان على جانبى الرأس .. كأنه شخص محتب يحاول ألا يسمع سبابًا بذيئًا ..

هتف (ويلارد) فى رعب :

ـ « هذا يمت لحضارة (الأنكا) .. لم توجد طريقة الدفن هذه فى أسكتلندا قط .. »

قلت وأنا أدير المصباح فى كل اتجاه :

ـ « واضح أن هذا المكان يحوى كل ما يخيف فى كل الحضارات .. هيروغليفية ولاتينية و(أنكا) ومعابد (تايلاند) .. هذا الخلط ما كان ليروق لأى مهندس ديكور .. إنهم حريصون على موضوع الطراز هذا .. »

مع ضوء المصباح ورقصة الظلال المخادعة المراوغة يمكنك أن تشعر فى كل لحظة أن هذه المومياوات توشك على الحركة .. لا بد من فم يفتح أو وجه يختلج ..

كانوا يلبسون ثيابًا تشبه ثياب القرون الوسطى كما نعرفها .. وكان سلاح كل منهم جواره فى نفس الرف الذى ينكمش فيه ..

قال (ويلارد) :

ـ « حسن .. الأمر واضح .. »

ـ « ما هو الواضح ؟ أنت رجل محظوظ .. »

ـ « هذه هى مقبرة كهوف (دراجوسان) .. لا يمكن لأحد الوصول إليها من عالم الأرضيين إلا لو استطاع حل اللغز واختيار الصندوق الصحيح .. »

قلت فى حذر :

ـ « انطباعى أنا أنهم يحرسون الطريق إلى قدس الأقداس كما يقول الكهنة .. لن أندهش لو انتهى هذا الممر بحل اللغز .. »

ـ « أى لغز ؟ »

ـ « إذن لماذا دخلنا ؟ كنت أحسب أن هناك لغزًا ! »

فى هذه اللحظة سمعت صوت فحيح .. وثبت للوراء فى الوقت المناسب لأن حية من النوع الذى يثب فى وجهك عبرت الممر أمامى على بعد سنتيمترات .. كانت تتوارى عن يمينى فوثبت ، لكنها أخطأت الهدف ..

صاح (ويلارد) فى هستيريا وهو ينظر للوراء :

ـ « إذن ليس هذا المكان آمنًا ! »

لم أرد لأنى توترت بالفعل .. ماذا جاء بى إلى هنا ؟ ماذا جاء بى ؟ طبعًا لا يجب أن تكون خبير زواحف كى تقدر أن هذه الحية سامة ..

ماذا سيكون موقفنا لو لدغتنا حية كهذه ونحن بلا معدات طبية على الإطلاق ؟ كانن شيطانى سريع الحركة وثاب شديد البطش ..

هنا سمعت صرخة مع فحيح ..

كما توقعت .. هذا (ويلارد) يرقد على الأرض وينن وهو يمسك بخده .. وكانت حية أخرى من طراز يشبه (بومسلانج) القذر تتمسك بخده .. هذه الأفاعى التى هى أسفل سلم التطور والتى تتشبث بما تعضه كى تفرغ السم من أنيابها الخلفية .. فهى لا تحقن السم من أنيابها الأمامية ..

هكذا حاولت انتزاعها لكنى فشلت .. كانت مصرة كالكابوس ، وهكذا فعلت ما يفعلونه بعضة وحش (جيلا) .. يحرقون فكها كى تفتحه .. أخرجت قداحتى وسلطت اللهب بحذر على أسفل رأسها محاذرًا ألا احرق (ويلارد) نفسه ..

تركته وفرت .. لم تمت لكنها اضطرت ألا تكمل مهمتها .. آسف أيتها الحية الحسناء .. سيبقى بعض السم فى غددك برغم شوقك الشديد لإفراغه كله بعد كل هذه السنين ..

الآن أتفحص خد (ويلارد) .. كان يرتجف .. لكن هذا كل شىء .. وهتف وهو يتحسس الجرح :

ـ « لقد انتهى أمرى .. اهرب أنت !! »

أزحت كفه لأتفحص الجرح .. حقًا علامات الأسنان موجودة ، لكن لا أرى موضع أنياب .. إن عضات الثعابين السامة تترك ثقبين واضحين حيث النابان ، لكن هذا ليس الحال هنا ..

هل الحية سامة ؟

للأسف لا أستطيع معرفة هذا إلا لو بدأت علامات التسمم العام تظهر على (ويلارد) .. يبدأ الأمر بقىء وحمى .. ثم يتفاقم الأمر سريعًا .. لو مات لكان هذا دليلاً مؤكدًا .. إن الولادة هى أدق وأكمل اختبار للحمل كما كانوا يعلموننا فى الكلية قديمًا .. من الصعب أن تلد المرأة دون أن تحمل لو أردت رأيى .. هذه أشياء لا تعرفها إلا إذا صرت طبيبًا ..

وهكذا صار أمامى حلان ..

إما أن أفترض أن اللدغة سامة فأحاول أن أعود أدراجى مع الفتى .. يعلم الله كيف ..

وإما أن أفترض أنها غير سامة وهذا يعنى أن نواصل المشى فى هذا الممر الرهيب ..

كيف أعرف ؟

سألت (ويلارد) وأنا أتحسس نبضه :

ـ « هل ترغب فى القىء ؟ »

- « ومن الذى لا يرغب ؟ »

وهى عادة المرضى المقيتة .. كأنك ستوليهم عناية أكثر كلما ادعوا أنهم مصابون بكل الأعراض فى العالم .. كل ما أبغيه فى هذا العالم هو رجل واحد دقيق ..

ساعدنى على الاختيار ..

لو كنت فتاة فاللدغة سامة (لا يوجد تحيز في الموضوع)

لهذا اتجه فوراً إلى صفحة 36

لو كنت فتى فاللدغة غير سامة .. اتجه إلى صفحة 64

محتويات حقيبتنا (أضف بالقلم الرصاص ما قد تجده أثناء الرحلة الرهيبة) :

1 ـ حبل .
2 ـ مأكولات .. ماء .. شاي في ترموس .
3 ـ أعواد ثقاب .
4 ـ زجاجة سائل إشعال الموقد .
5 ـ طبشور .
6 ـ سكين .
7 ـ أقلام وورق .
8 ـ كيسا نوم .
9 ـ أقراص نيتروجلسرين .. الكثير من النيتروجلسرين فى الواقع .
10 ـ ديناميت (نيترو من نوع آخر) .
11 ـ ....
12 ـ ....
13 ـ ....
14 ـ ....
15 ـ ....
16 ـ ....

هززت رأسى واستعملت إرادة حديدية كى أظل متيقظًا ..

كم مر من الوقت ؟ ربع ساعة ؟ ما زال على أن أقاوم ساعة إلا الربع ما لم أخدع (ويلارد) وأزعم له أن الساعة مرت ..

رحت أشرب الشاى وأستعيد الذكريات حين ..

شريفت .. شريفت !

ما هذا ؟

شريفت .. شريفت !

هنا فقط وثبت واقفًا .. هذا صوت خطوات بالخارج .. لا شك فى هذا !

يبدو أن ما بقى فى رأسى من شعر تصلب أيضًا .. وفى اللحظة التالية وعلى الضوء الأحمر الواهن رأيت رأسًا يدخل الكوخ ..

ليس رأسًا فقط .. إنه جسم كامل ..

وقفت فوق المنضدة وشعرت بأن قلبى قد أصابه الجنون .. العصفور الذى يطاردونه بالطبول حتى يهوى أرضًا ويموت ..

اكتمل دخول القادم .. إنه فتاة .. لكن هل هى فتاة حقًا ؟ كل شىء جائز هنا ..

ومن خلفها رأيت شابًا بثياب عصرية .. كلاهما كان يلبس ثيابًا عصرية ويبدو مذعورًا أكثر منى ..

صحت فى هلع :

ـ « من أنتما ؟ »

بدا الغباء على الفتى هنا تذكرت أننى فى لحظة انعدام الوعى هذه تكلمت بالعربية .. لذا كررت سؤالى بالإنجليزية ..

قال الفتى بلهجة واضحة بلا شوائب :

ـ « يجب أن أسأل السؤال ذاته .. »

بدأت أهدأ قليلاً فهبطت من فوق المنضدة ، واستعدت أنفاسى .. على حين قال الفتى :

ـ « أنا (جون ماكجريجور) وهى (إلسا) .. من أنت ؟ »

ـ « أنا دكتور (إسماعيل) .. وهذا النائم يدعى .. »

ثم تنبهت إلى أننى نسيت الاسم من فرط الرعب .. اسمه (جيمس) على كل حال .. هذا يكفيكما ..

ـ « والآن هل لى أن أعرف ماذا أتى بكما ؟ »

قال الفتى وهو يستجمع أنفاسه ويمسك بيد الفتاة :

ـ « نحن نستكشف هذا الكهف .. »

- « يا سلام .. فى الليل .. وهذا الكهف بالذات .. مصادفة غريبة .. والأغرب، أننا نفعل الشىء ذاته .. »

قال الفتى فى شىء من الخجل :

- « نحن متحابان ، وكنا نرغب فى العثور على مكان لا يجدنا فيه الكبار .. كثير من الشباب يفعل برغم منع الشرطة الصارم لهذا .. »

- « وتوغلتما كل هذه المسافة لأنكما متحابان ؟ »

قالت الفتاة وهى ترتجف :

- « لقد تسللنا إلى الفتحة الخارجية .. كان هناك ممر أيمن وممر أيسر .. اخترنا الممر الأيمن وضللنا طريقنا .. لم يخطر لنا أن شبكة الممرات بهذا التعقيد .. وسرعان ما وجدنا أننا هنا .. »

إذن هما استعملا وصلة مختصرة .. الممر الأيمن كان يقود لهنا ، لكنهما مجدودا الحظ لأنهما لم يمرا بحرق صندوق المومياء ، وممر المومياوات ولدغات الثعابين ..

كانت الفتاة رقيقة صغيرة السن جدًا أقرب إلى الأطفال .. الفتى أيضًا كان مراهقًا ، فلو كان يجيد العربية لنادانى بـ (عمو) .. شابان جميلان لا يثيران القلق فى نفسى وأرجو أن أكون محقًا ..

قلت لهما وأنا أسترخى فى مقعدى :

- « أما أنا وصاحبى فقد جئنا هنا لا نطلب الانفراد ولا الهرب .. نحن مجرد مخبولين لا أكثر ولا أقل .. ويؤسفنى أنكما لم تبلغا شاطئ الأمان معنا .. نحن فى حال سيئة ولا نعرف كيف نخرج .. وإن كان بوسعكما أن ترشدانا إلى الممر الأيمن .. »

قال الفتى :

- « قلت لك إننا ضللنا الطريق .. »

- « يبدو أنه ليس فى عروقك قطرة من دم (ثيذيوس) الذى دخل (اللابيرينث) ليقتل المينوتور .. لقد استعمل خيطًا يهتدى به ، وكان عليك أن تستخدم قطعة طبشور .. »

قالت الفتاة فى مشاكسة :

- « يبدو أنكما لستما أكثر حكمة .. »

تحسست جيبى وأخرجت إصبع الطبشور وقلت :

- « أشياء كهذه لا تفوتنى .. ولو فتحت أمامنا سبل العودة فلن أضل طريقى .. »

قالت الفتاة وهى تخرج ما فى جيبها :

- « معنا شمع وعلبة ثقاب .. لكننا وجدنا أن الضوء كاف هنا .. »

- « يعلم الله من أين يأتى .. لكن كم لبثتما هنا ؟ »

قال الفتى :

ـ « ثلاث ساعات على ما أعتقد .. »

فجأة راحت الفتاة تشهق شهيقها المتواصل السريع .. صدرها يعلو ويهبط .. إنها مقبلة على نوبة هستيريا .. ثم انفجرت في صراخ طويل لا ينتهي ..

ـ « إنها نهايتنا ! إنها نهايتنا ! »

طاخ ! هويت على خدها بالصفعة .. لا بد أن يدي العظمية مؤلمة جدًا .. كأني صفعتها بمنفضة سجاد خشبية ..

صاح الفتى وهو يكور قبضته :

ـ « هل جننت ؟ »

قلت في لا مبالاة وأنا أضع يدي على خدها :

ـ « أنت تشاهد التليفزيون يا بني وتعرف كيف يعالجون نوبات الهستيريا .. لا يوجد حل آخر .. »

وما لم أقله ـ طبعًا ـ هو أن هذه الصفعة أزالت الكثير من توتري الداخلي .. لقد كانت ستبدأ في الصراخ .. والصراخ في هذا الجو الخانق عبء عصبي لا يوصف ..

قالت الفتاة وقد بدأت نوبة البكاء التقليدية :

ـ « هذا صحيح .. أنا أفضل حالاً يا سيدي .. شكرًا لك .. »

ـ « هدفنا إسعادكم .. »

لكن عدوانيتي لم تنته بعد .. لا بد من إفراغ ما بقي من توتر في هدف سهل ..

هكذا اتجهت نحو (ويلارد) النائم وهززته في عنف وأنا أصيح :

ـ « محادثات وصراخ وصفعات وبكاء .. كل هذا وأنت نائم لم تتقلب ! العذر الوحيد لك هو أن تكون قد مت ! »

تقلب (ويلارد) في نومه وغمغم :

ـ « أنا كذلك أحبك يا (سالي) .. »

ثم راح يلوك هذه الأشياء الغامضة التي يلوكها النيام .. فهززته من جديد :

ـ « انهض يا أحمق .. إن لدينا زائرين فوق العادة .. »

فتح عينيه الحمراوين .. عيني رجل لم ينل كفايته من النوم بعد ، وهتف في جزع :

ـ « ماذا ؟ من ؟ »

* * *

بعد ما حكى الشابان قصتهما كاملة ، وهدأ (ويلارد) قليلاً .. قلت وأنا أتثاءب :

- « لم يتغير الوضع كثيرًا .. لكنى ما زلت مصرًا على النوم .. »

- « تنام فى هذه الظروف ؟ »

- « أنام من أجل هذه الظروف .. إننى كهل واهن ولن يفيدنى فى شىء أن أموت فجأة .. لا بد من النوم لتجديد خلايا (نيسل) فى مخى .. ربما أجد حلاً عبقريًا .. »

قال الفتى وهو يطوق كتفى الفتاة بذراعه :

- « أنا و(إلسا) لا نحتاج إلى النوم .. يمكنكما أن تناما ونتولى نحن الحراسة .. »

نظرت لهما فى شك .. طبعًا لا أجد فى نفسى أية ثقة بهما ونحن لم نلتق إلا منذ ربع ساعة .. أنا لم أولد أمس ..

هناك ثلاثة حلول منطقية لا رابع لها :

(ا) أن يسهر (ويلارد) والفتى وتنام الفتاة على الفراش ، بينما أفرش كيس النوم على الأرض وأنام .

(ب) أن يسهر (ويلارد) والفتاة بينما أنام أنا والفتى فى الفراش .

(جـ) يسهر الجميع بينما أنام أنا .

تلك الحلول العبقرية يجمع بينهما شىء واحد مشترك : أن أنام أنا فى كل الظروف وأن يسهر (ويلارد) فى كل الظروف ..

لو كنت تفضل الحل الأول فاتجه إلى صفحة 254

لو كنت تفضل الحل الثاني فاتجه إلى صفحة 128

لو كنت تفضل الحل الثالث فاتجه إلى صفحة 110

إذن أنت تقرأ هذه الكلمات ليلاً .. جميل !

ندخل المفرق الأيمن .. على ضوء المصباح الواهن المخيف فى حد ذاته ، نرى الجدران وفى نهاية الطريق باب .

باب موصد .. .. ..

على الأرض هناك شىء .. نعم .. بالفعل .. هذا خاتم له طراز عتيق فخيم .. ربما يساوى ثروة .. يمكنك أن ترى الكتابة عليه :

ISHTAR

طبعًا .. ربما كان هذا خاتمها شخصيًا ، لولا أنها لم توجد قط طبعًا .. سأضعه فى الحقيبة صفحة 141 ثم نفكر فى الخطوة التالية ..

تعال معًا إلى صفحة 114 لنعرف ما هنالك ..

قال لى :

ـ « معك حق .. هذا الخاتم وكل الخدوش على جسدينا .. لم يكن هذا حلمًا .. لكن فسر لى تاريخ اليوم .. »

قلت وأنا أنهض :

ـ « كانت تجربة عجيبة تتجاوز مسار الزمن التقليدى .. أعتقد أن تلك الكهوف ضد الزمن وضد قوانين الطبيعة .. لكن لا تقل لى إننا لم ندخلها من فضلك .. »

ـ « هل تعنى أننا دخلناها ثم عدنا قبل ذلك بيومين ؟ »

ـ « هذا هو ما يبدو .. »

كنا مشتتى الذهن نرمق الأفق ..

لا نعرف إن كنا قضينا على (دراجوسان) أم لا ..

لا نعرف إن كان يراقبنا أم لا ..

هل هو فينا ؟

نظرت فى شك إلى (ويلارد) ..

هل وجد الساحر فرصة كى يغرس فيه تلك البذرة ؟

من النظرة المرتابة فى عينى (ويلارد) خمنت أنه يفكر فى الشىء ذاته بالنسبة لى ..

أحدنا هو .. أشعر بهذا وأهابه .. .

إن لم يكن (ويلارد) فلعله أنا ..

ولعله نحن معًا .. ..

[تمت]

كيف جئت هنا ؟

لم تقدك أية صفحة إلى هنا .. وهذا يعنى أنك تختلس الجولات بين الصفحات ..

لا أمقت شيئًا فى العالم قدر مجىء عدم المدعوين إلى أماكن لا تخصهم .. سواء كانوا من رفاقى أم من الذين لا اسم لهم ..

فعد أيها الغريب ..

عد من حيث جئت !

وهكذا جمع الجالسون أوراقهم .. (ماجى) العزيزة تبكى بلا انقطاع .. وقفت جوارها وحاولت أن أشرح لها أننى بخير .. لكن كيف ؟ أنا لست بخير ..

الجالسون يخرجون من الغرفة وأنا أصرخ بصوت لا يسمعه سواي :

ـ « وماذا عنى أنا ؟ ماذا عنى أنا ؟ »

ماذا لو لم يتخل قلبى الأحمق عنى ؟ هل كنت أعيش ؟

لماذا لا تعود لصفحة 26 وتجرب احتمالاً آخر فى يوم آخر ؟

[تمـــت]

فتحت عينى فوجدت إننى ملقى جوار الجدار .. الدخان يملأ القاعة وهناك أشياء تزحف فى الركن .. ثمة أشلاء مشتعلة توشك نارها أن تموت .. كشافى ما زال يعمل وإن سقط على بعد مترين منى فنهضت وأمسكت به وسلطت ضوءه على المكان ..

رباه ! (ويلارد) !

كان مكومًا هناك جوار جدار آخر .. وكان ينزف من رأسه بينما ثيابه متفحمة مما يدل على أنه تعرض لألسنة اللهب تلك ..

جريت نحوه وتحسست عنقه .. إنه حى .. حمدًا لله ..

ـ « الشىء ! »

قال لاهثًا :

ـ « إنه احترق بالكامل لكن موته لم يكن هادئًا .. لقد استغرق نحو ربع ساعة .. »

ثم أردف وهو يلهث ويضغط على جرح رأسه :

ـ « أعتقد أننا أحرقنا الصندوق الصحيح .. أعتقد أن هذا الصندوق كان يحوى جثة (دراجوسان) ، وأعتقد أننا بحرق الصندوق أحرقنا الكائن الشيطانى الذى سيطر على الرجل وجعله شريرًا .. لقد طهرنا الكهوف .. »

لم أجد تفسيرًا آخر .. لكن ماذا لو فتحنا الصندوق الآخر ؟ الحقيقة أننى لم أعد راغبًا فى التجربة .. أريد الخروج من هنا ..

ونظرت إلى الجدار الذى دخلنا منه فوجدته مواربًا !

قلت لـ (ويلارد) :

ـ « أعتقد أنك على حق .. لقد زالت اللعنة التى سجنتنا هنا .. هل تستطيع النهوض ؟ »

هز رأسه أن لا .. وقال :

ـ « سيكون عليك أن تعود للقرية لتجلب لى معونة !! »

فكرت فى ضيق .. أنا أمقت العودة وحدى كل هذه المسافة لكن لا أعرف حلا آخر ..

النقطة الأخرى هى أننى أكره أن أتركه وحده فى الظلام هنا .. ماذا عن الفئران ؟ ماذا عن (العنكباط) ؟ ماذا عن انغلاق الجدار ثانية ؟

سمع أفكارى فقال :

ـ « سأكون بخير .. فقط تذكر أنك ستعود عبر البوابة الحديدية .. الممر الأيسر .. فتحة الكهف .. »

هززت رأسي :

ـ « لا تقلق .. لم نتوغل إلى هذا الحد ، وقد رسمت علامات الطبشور من أجل هذا .. »

ووضعت جواره بعض البسكويت وكشافه و(زمزمية) ماء .. فابتسم فى وهن وقال :

ـ « لا تتأخر .. أحضر لى بعض الرجال الغاضبين الذين يحملون المشاعل .. »

ـ « سأفعل .. »

واتجهت إلى الجدار الذى انفتح ..

* * *

لم تكن هناك أحداث مريعة طوال رحلة العودة .. كان الظلام يسود الكون .. ووقفت خارج الكهف أنظر إلى هذا التكوين الرهيب .. شاعرًا برجفة .. ترى هل حقًا هزمنا كهوف (دراجوسان) ؟ لا أعرف .. ما زلت أشعر بأن هناك الكثير لنراه .. فقط أعرف أن على أن أهرع إلى القرية لأحضر لـ (ويلارد) نجدة ..

وتساءلت : ترى هل أعود لأجرب المزيد من الاحتمالات ؟ أعتقد أننى سأفعل ..

أنت تستطيع أن تعود بى إلى الكهف لو رجعت إلى صفحة 12 وجربت احتمالا آخر ، وتستطيع أن تقبل هذه النهاية التى لا أشعر أننى انتصرت فيها ، لكننى على الأقل حى أرزق ..

يمكننى أن أقول لمن أقابله إننى دخلت كهوف (دراجوسان) وخرجت .. وإننى واجهت الشر و ـ ربما ـ قهرته ..

[تمت]

كان الدوار يقتلنى ..

قلت لها وأنا أترنح :

ـ « مستحيل .. لقد عشت طقوس ذبحى مرارًا .. أنتم مجموعة من الساديين المرضى ! »

قالت باسمة بطريقتها التى تجمع الرقة والبرود :

ـ « أنا لا ذنب لى .. أنا روح الخير هنا .. أردت أن تتبين بنفسك أنه لا مفر من (دراجوسان) .. أنت حللت اللغز لكنك لن تخرج به إلى الفانين الآخرين .. (دراجوسان) يحتفظ بك فى متاهة لن تنتهى إلا بموتك .. »

قلت لها فى غضب :

ـ « إذن ما جدوى كل هذا المشى ؟ ولماذا جعلتنى أتخلى عن صديقى ؟ »

ـ « لأنك أردت أن تعرف .. والمعرفة فى حد ذاتها هى الثمرة .. عليك الآن أن تدفع الثمن ! »

ـ « و(ويلارد) ؟ »

ـ « إن الفانى الآخر يخوض اختباراته الخاصة .. لو عرف

فلسوف يظل هنا للأبد ، وإن لم يعرف فلربما كانت لديه فرصة للنجاة ! »

ـ « قد وثقت بك .. »

ـ « كان عليك أن تصدق العراف .. ألم تقرأ على صدرى اسم (نافاح) ؟ من قال لك إن (نافاح) هى منقذتك ؟ لم لا تكون جلادتك ؟ »

قلت فى عصبية :

ـ « أنا لم اطلب أن أعـــ .. .. »

وهنا فوجئت بأنها لم تعد جوارى ..

لقد صرت وحدى .. ..

المكان متوسط الظلمة .. لكن معالمه تتغير كل دقيقة ..

سيحتفظ بى الأخ (دراجوسان) إلى الأبد ..

هكذا قالت ومن الواضح أنه صحيح ..

سأجرب من جديد أن أحل اللغز فى صفحة 45 مستعملاً أرقامًا جديدة ..

من يدرى ؟ لربما كانت هناك ثغرة ما ..

لكنى أعرف أفضل ..

أعرف أننى لن أخرج من هنا حتى موتى ..

لو كان (دراجوسان) أكثر رقة لقتلنى وانتهى الأمر .. لكن من قال إن الكهوف تتمتع برقة الطبع ؟

لهذا أجلس هنا وأكتب مذكراتى التى تقرؤها الآن .. حتمًا سيجدها أحدهم يومًا ما ويعرف سر هذه الكهوف الرهيبة ، ويومها أعتقد أن التفجير بالديناميت حل مرض ..

سأكتب هذه المذكرات ، ثم أعود لذلك اللغز .. ربما استطاع رقم آخر أن ينقذنى ..

ألا ترى هذا معى ؟

[تمـــت]

أكتب هنا التعويذات التى عرفتها من كلمات العراف أو سواه (لا أعرف السبب لكنها قد تجدى يومًا) :

1 ـ ....

2 ـ ....

3 ـ ....

4 ـ ....

5 ـ ....

6 ـ ....

7 ـ ....

يا للكارثة !

لقد انغرست السكين حتى المقبض ، لكنه ذلك الشعور الذى تجده لدى طعن الماء ..

لا شىء ! ..

لا يوجد ما يدل على أنه لاحظنى ..

إنه مستمر فى هذا الذى يقوم به ..

هكذا استجمعت قواى أكثر وسددت طعنة أخرى ..

انتقل إلى صفحة 243 لتعرف ما حدث

إذن اخترت التمثال الأزرق ؟ أنا أحب اللون الأزرق كما تعرف ..

إن لفظة (شيسد) ترمز إلى الرفق والحنان الأبوى .

إن التمثال ثقيل لكنى أحاول .. فلما لم أستطع نظرت إلى (ويلارد) المذعور وأمرته بأن يساعدنى ..

فى النهاية أزحنا التمثال جانبًا ..

وفى قاعدته وجدنا ذلك الزر الحجرى الذى ارتفع وقد تحرر من ثقل التمثال .. كأنما هناك زنبرك قوى من تحته ..

وفى اللحظة التالية وجدنا أن الصمت قد ساد ..

اختفت تلك الغيلان ، وهدأت النيران ..

لقد كان ثقل التمثال يمنع السيد من السيطرة ، لكنه الآن تحرر وهو يمارس نفوذه القوى ..

قال (ويلارد) :

ـ « أنت عبقرى .. كيف خمنت هذا ؟ »

قلت فى لا مبالاة :

ـ « هذه قصة طويلة .. لكن علينا الآن أن نغادر المكان فلا تضيع وقتى بقول ما يعرفه الجميع ! »

وسمعنا الباب ينفتح !!

لقد اجتزنا اختبارنا الخاص !

أسرع إلى صفحة 171 قبل أن يغيروا رأيهم !!

أنت ترى أن أرحل الآن ؟

لا أعرف .. هل هذا هو الجبن بعينه أم الحكمة بعينها ؟ أحيانًا يختلط الطيفان فلا تعرف يقينًا هل أنت جبان أم حكيم ..

سأعود .. ولكن كيف ؟

آخر اتصال لى بالعالم الخارجى كان ذلك الجسر وتلك المرآة .. لكنى انقطعت عنهما تمامًا الآن ..

رأيت فأرًا يركض مبتعدًا فى خفة ..

ما أغرب شكل هذا الفأر !! إنه يركض كعنكبوت .. لكنه فأر بالتأكيد .. واحد آخر جرى تحت حذائى فرفعت قدمى غريزيًا ودست عليه .. ثم انحنيت أتفحصه على ضوء الكشاف ..

حقًا ليس عنكبوتًا على الإطلاق .. إنه أقرب إلى فأر صغير لكنه فأر يتمتع بعدد من الأقدام أكثر من اللازم ، دعك من الجناحين الغشائيين المفتوحين .. كما أنه بلا رأس .. له فم فى منتصف صدره بالضبط ..

شعرت بالقشعريرة تزحف على ظهرى .. هذا مخلوق مستحيل يجمع بين صفات الوطواط والفأر والعنكبوت .. هذا (عنكباط) أو (فأروت) لو شئنا الدقة اللغوية .. منذ متى ظل هذا القبو مغلقًا ؟ مهما طالت تلك الفترة فلن تسمح بحدوث طفرات بيولوجية تؤدى إلى هذا .. هذه الأمور تحتاج إلى ملايين السنين ..

كل شىء هنا غريب أو مريع أو مقزز ..

يجب أن أبتعد ..

واصلت السير مبتعدًا عن هذه المقبرة .. وفجأة رأيتهم قادمين من نهاية المساحة الخالية .. لم أعرف مَن هم لم أر وجوههم . لكنهم كانوا يحملون المشاعل .. ويصدرون همهمة غريبة مكتومة ..

هووووووه !

لو كان لى أن أصف الموقف بدقة لقلت إنها جنازة .. إن أحدهم قد مات وهم يحملونه إلى المقابر ..

هووووووه !

لكن معنى هذا أنهم سيروننى لا محالة ..

لم أر وجوههم ولا أريد لكن مظهرهم يذكرك بالمسوخ .. طريقتهم فى المشى .. مسيرتهم الصامتة الكئيبة ..

لا بد من أن أتوارى .. لكن الساحة عارية تمامًا .. لا يوجد مكان للاختباء .. وشواهد القبور ليست عالية ..

عدت إلى التمثال ودرت حوله .. هناك بئر آخر فى مؤخرته .. لكنه عند مستوى القاعدة .. لا توجد درجات هذه المرة .. لكن ربما لو تمسكت بالحافة أستطيع أن أتدلى بأمان لأسفل ..

هكذا دسست جسدى فى الفتحة واعتصرت الكشاف بأسنانى .. لقد شخت على هذه التمارين البدنية .. شخت كثيرًا جدًا ..

هناك ظلام دامس من تحتى .. لكنى أتمسك وأحاول بقدمى أن أجد ما أقف عليه و ....

أى ! انزلقت يدى !

لا ! ! ! ! !

أين أنا ؟

إننى فى قاع بئر .. لا بد أن الارتفاع الذى سقطته لم يتجاوز خمسة أمتار .. لحسن الحظ وإلا لهشمـــــ ....

خمسة أمتار لكنها كانت كافية .. هذا الوضع الغريب لعظمة القصبة اليمنى يدل على أنها كسرت .. ثم ذلك الألم الرهيب ..

أسمع ضوضاء هؤلاء القوم فوق مستوى رأسى .. إنهم يقومون بعملهم الرهيب ..

لكن .. فى الظلام أرى تلك العيون الصغيرة تلمع .. أنرت الكشاف من جديد بعد أن هززته ليفيق ..

تعال إلى صفحة 221 لتعرف ما حدث

شاعرًا بالبلاهة انتزعت الدرع الصغير ، وطوحت به فى الهواء .. كلونج كلانج كلانج ! سقط على الأرض محدثًا ضوضاء كادت تسقط الكهف على رءوسنا .. أخيرًا استقر فرأيت النقوش لأعلى ..

تبادلت النظرات مع (ويلارد) .. علينا أن نحرق هذا الصندوق إذن .. قال لى وهو يرتجف :

ـ « هل نصدق هذه الخرافات ؟ »

ـ « ليس لدينا الخيار .. علينا أن نلعب بقواعد المكان .. »

ـ « نشعل النار ونحن فى قبو ضيق بلا نوافذ ؟ »

ـ « لو كنت قلقًا على الأكسجين ، فاطمئن .. هذه الكائنات ظلت حية مما يدل على أن الهواء يدخل هنا .. لكننا سنموت جوعًا أو ظمأ قبل أن نختنق .. هل معك زجاجة إشعال الموقد؟ »

كانت معه فى حقيبة ظهره .. فناولها لى .. سكبت كمية محترمة من السائل على الصندوق وعلى الهيكل وكل شىء ..

ـ « والآن ابتعد .. »

وأشعلت عودًا من الثقاب وألقيته فوق الصندوق ..

النار تزحف بحثًا عن فريسة ثم دوى صوت الـ (ووووش) الدال على أنها وجدت هدفها فى الحياة .. لحسن الحظ أن الرائحة رائحة خشب يحترق .. لا توجد أية رائحة أخرى ..

وراحت الألسنة تتلوى .. هنا فقط بدأت أشعر بأن الهواء الساخن يعطى خداع نظر أكثر من اللازم .. لو كنت أحمق لقلت إن هذا الهيكل يتحرك .. لكنى لست أحمق .. أنا أعرف تأثير الانكسار الضوئى على ....

ـ « إنه يتحرك !! »

جاءت هذه الصيحة من (ويلارد) الواقف خلفى .. إذن هو أحمق ..

لكن الأمور تزداد سوءًا .. إن الصدر كله ينتفض ..

ثمة شىء يشق طريقه خارجًا من بين الضلوع ومن بين ألسنة اللهب .. إنه ينتفض .. يرتفع .. متجهًا إلى سقف القاعة ..

الآن تدرك أنه أقرب إلى أفعوان ضخم طويل جدًّا .. ليس أفعوانًا بدقة .. إنه يضىء بلون فوسفورى غريب ، ولا يمكن أن تعرف كنه رأسه ..

إنه يصرخ صرخة ترتج لها القاعة ..

إنه يضرب السقف ثم يهوى أرضًا بسرعة لا تصدق .. هذا الشىء يتألم .. لا أعرف ما هو لكنه يتألم ..

وفى لحظة صار رأسه على بعد مترين من رأسى ..

لم أتبين كل التفاصيل لأنه كان يحترق .. وكان يتحرك بهستيرية وجنون مما يجعله لا يلبث أكثر من ثانيتين فى أى وضع ..
لكن ما رأيته كان كافيًا كى أفقد الإحساس بقدمى ..

شعور الغثيان هذا ..

تعال لتفقد الوعي في مكان آمن .. اتبعني إلى صفحة 155

قلت لـ (ويلارد) :

ـ « هذا أذكى شيء قمنا به ! الرجل يتوقع أننا لن نقاوم الفضول .. لقد أعد كمينه لنا على هذا الأساس .. ومن الحكمة أن نرد كيده لصدره ! »

قال وهو يبعد عينيه عن الحروف :

ـ « وهل كل المتسللين هنا يجيدون اللاتينية ؟ »

ـ « أراهنك على أن هذه الكتابة تتغير لغتها حسب ثقافة المتسلل .. فلو كان صينيًا لوجدت نقوشًا عمودية تحتل الباب بالكامل .. »

وتراجعنا في الممر بحثًا عن طريق آخر ..

كان هناك جدار متسخ لكني شعرت بشكل ما أنه أكثر انتظامًا من أن يكون جدار كهف ..

لو أردت الدقة لقلت إنه أملس ..

بحثت عن قطعة قماش في حقيبتي ، ثم رحت أزيل هذه القذارة .. بالفعل هو أملس تمامًا .. كأنه سطح من زجاج ..

أخيرًا بدأت أرى الصورة صورتي و(ويلارد) ونحن ننظر لنا مبهورين ..

هي مرآة .. مرآة عتيقة عملاقة كتب على إطارها العلوي :

MORPHEA

هتف (ويلارد) :

ـ « عالم المرآة ! لقد دخلته من قبل ! فقط اتسخت المرآة فلم أرها ..»

قلت في ذهول :

ـ « أي عالم مرآة ؟ كنت أحسبك تمزح ! »

ـ « وأنا لم أكن أمزح .. »

ـ « قلت إن هناك عالمًا من الحمم و .... »

قال فى خطورة :

ـ « لنكن واضحين .. لا يوجد شىء هنا سهل أو واضح .. لقد تغير الكهف .. أكاد أجزم انه كائن حى يتغير مثلى ومثلك .. على كل حال هذه نقطة بدء لا بأس بها .. »

ـ « هل تعنى أن نخترق هذه ؟ »

ـ « فقط تعال وثق بى .. »

ومد يده يمسك بيدى فى حزم ، ثم تقدم إلى السطح اللجينى .. عندها رأيت تلك الموجات تتكسر .. لقد رأيت هذا المشهد فى عدد فلكى من أفلام السينما ، لكنها المرة الأولى التى أراه فيها رأى العين .. بل أمر به !

إن هذا مذهل ..

وفى الداخل رأيت الدليل الثانى على أنه كان محقًا ولم يكن يهذى .

كنا نقف على حافة جرف .. ثمة جسر من الحبال يشبه تلك الجسور التى تراها فى أفلام الإزتك .. حبلان تستعملهما كـ (ترابزين) وحبل تقف فوقه .. أما الأهم فهو أن الهاوية تحت الجسر كانت حممًا .. حممًا تتصاعد وتفور وتنثر اللهب ..

وعلى الناحية الأخرى لم يكن هناك إلا صخور .. يبدو أن فيها فتحات ما .

دعك من أن السقف كان فوقنا .. سقف الكهف بهوابطه .. لم تكن هناك سماء ..

قلت له بصوت مبحوح :

ـ « قلت إن هذه الحمم تسبق المرآة .. »

ـ « هذا وارد .. ربما نحن فى الناحية الأخرى التى تسبق فيها المرآة الحمم ! »

ـ « وكيف عدت ؟ »

أشار إلى الجدار الذى خرجنا منه والذى كان يترقرق كسطح من الزئبق ، وقال :

ـ « دخلت المرآة بالعكس .. »

قلت له وأنا ألتصق بالجدار أكثر :

ـ « إذا حسبت أننى سأعبر هذه الهاوية فأنت مخطئ .. »

قال فى مرح وهو يتجه إلى جسر الحبال :

ـ « لِمَ لا ؟ لم يطالبك أحد بالمشى على حبل .. أنت ترى أنه جسر قوى متماسك .. »

ـ « متماسك بعد كل هذه القرون ؟ »

ـ « هذه هى معجزته الصغيرة ! »

وقبل أن أعلق كان يقف على حافة الجسر ويضع قدمه على الحبل ثم بدأ يخطو ..

غريب هذا ! إنه لا يتقدم خطوة .. يحاول لكنه في الحقيقة يتراجع ..

هنا خطرت لي الفكرة .. مثلما يحدث في الأساطير بالضبط .. هذا الجسر يجب أن تمشي عليه بظهرك !

أخذني الحماس فقررت تنفيذ الفكرة .. أحيانًا يفوق الحماس النفور ..

قلت له أن يبتعد ثم وقفت وظهري للجسر ووضعت قدمي على الحبل ، ثم بدأت بقدمين راجفتين أخطو للوراء .. أخطو وأنا أتمسك بالحبلين ..

بالفعل كنت أتحرك !

كنت أتحرك ببطء ..

وهتفت مناديًا (ويلارد) أن الحق بي يا أحمق ففعل ..

كنا نمشي فوق الجسر .. أنظر لأسفل إلى الحمم المضطرمة ، وأكاد أشعر بحرارتها .. فقط وأنا في منتصف الجسر عرفت مدى حماقتي ..

لكني سأواصل .. سأواصل ..

كان (ويلارد) يمشي بظهره أمامي ..

لم يلتفت لي لحظة واحدة ، لكنه فعلها مرة ..

هنا سمعته يقول في رعب :

ـ « (رفعت) .. يجب أن نعود ! »

ـ « لماذا ؟ كنت أفهم أنك .. »

ـ « أنظر وراءك ! »

ونظرت للوراء ..

على الضفة الأخرى التي أتجه لها بظهري رأيتهم .. تلك المجموعة من الناس .. هم ناس للدقة التشريحية ، لكن فيما عدا هذا هم وحوش كاسرة .. أنياب . مخالب نامية .. شعور منكوشة .. كانوا يقفون هنالك وقد بدا عليهم هياج عظيم ..

ونظرت أكثر فرأيت أن أكثرهم يحلي نطاقه بجماجم أطفال ، كما أن زعيمهم كان يحمل عظمة فخذ آدمية لا شك فيها ..

الجانب الآخر يسكنه أكلة لحوم بشر !

لا شك في هذا !

انتقل إلى صفحة 208

هكذا اخترنا الصندوق الثانى ..

أرفض هذا ولا أرتاح إليه من أعماقى .. لكنه القرار الوحيد الممكن .. لن أورط (ويلارد) فى خيار ثم أعتذر له فيما بعد ونحن نلفظ أنفاسنا الأخيرة ..

تناولت العتلة ورحت أحاول اغتصاب الغطاء الموصد .. إنه متين التثبيت .. لكن الخشب متهالك .. تعرف هذه الطريقة التى تفتت بها الخشب تمامًا لكن مواضع التحامه سليمة كما هى ..

على الأقل لم يثب شىء فى وجوهنا بعد ..

بعد قليل صارت هناك فجوة .. والفجوة تسمح بإلقاء الضوء إلى الداخل أو مد يدك لو كنت شجاعًا ..

لم يكن هناك شىء فى الصندوق ..

تبادلت النظرات مع (ويلارد) ، ثم مددت العتلة إلى الداخل اضرب هنا وهناك . ثم أننا رحنا ننتزع الغطاء كله .. لقد تحول إلى فتات كأن (عطوة) النجار اتخذ ورشته هنا ..

قلت وأنا أصوب الضوء إلى الداخل :

ـ « هذا الصندوق مجرد غطاء .. غطاء يقود إلى فتحة .. »

تساءل (ويلارد) فى رعب :

ـ « فتحة ؟ إلى ماذا ؟ »

قلت فى غيظ :

ـ « لو كنت أعرف الإجابة عن كل الأسئلة لوجدتنى جالسًا أتأمل على قمة (إفرست) .. هنا لا نتعلم مسبقًا .. نحن نتعلم أثناء التجربة إذا أردت رأيى .. »

الآن ندرك أن الصندوق مثبت بإحكام إلى الأرض ، والفتحة التى يقود إليها هى الجزء العلوى من بئر عميق ..

هل ننزل ؟

واضح أننا سنفعل .. لا يوجد خيار آخر إذا ما أردنا المضى فى التجربة إلى نهايتها .. على الأقل هذا يعتبر مخرجًا ..

قلت لـ (ويلارد) بصوت مبحوح :

ـ « أنت أولاً .. »

هتف محتجًا :

ـ « ولماذا أنا أولاً ؟ »

ـ « لأننى كهل ضعيف غير مؤهل لمواجهة الأخطار .. بينما أنت شاب قوى .. ثم إننى هنا لأحمى ظهرك .. خذها على هذا المحمل .. »

نظر لى فى ذهول ، ثم دس الكشاف بين أسنانه وخطا إلى داخل الصندوق .. قلت له قبل أن يكمل رحلته :

ـ « لحظة .. أعتقد أن هذا دور الحبال .. »

وعقدنا حبلاً حول خصره ، ثم قمت بلف الحبل حول نفسه وثبتت الطرف الآخر إلى صخرة بارزة ..

وبعد قليل بدأ الهبوط .. توارت قدماه ثم خصره .. ثم صدره فرأسه .

جلست وحدى فى المكان الرهيب أنظر هنا وهناك .. لو لم يكن (ويلارد) معى لجننت .. هناك ما هو أكثر رعبًا من كل مسوخ الأرض .. إنه خيالك .. خيالك الذى يستطيع أن يتحول إلى ديناصور أو كلب مسعور أو مصاص دماء أو مومياء تنهض أو كل الشياطين .. تذكرت صديقًا لى مات منذ أعوام وعلى فمه ابتسامة غريبة .. الآن أراه بوضوح يتقدم من ورائى فى هذا القبو وعلى شفتيه الابتسامة ذاتها .. إنه خلفى الآن .. إنه يمد يده نحوى .. إنه يقول ..

ـ « (ويلللللللللارد) ! أين أنت ؟ »

لم يرد ..

عدت أكرر بصوت أعلى .. ونظرت للحبل .. لقد أخذ معه إلى أسفل مسافة لا بأس بها .. البئر عميق فعلاً .. واضح أن هذا التركيب شديد التعقيد .. لمَ لا وهو مدينة كاملة تحت الأرض ؟ نحن اكتفينا بكشط القشرة فقط ..

ـ « ويللللللللللارد) ؟ »

هذه المرة لا بد أنه مات .. الناس تموت فجأة لكنها لا تصاب بالصمم أو العته المغولى فجأة ..

فجأة جاء صوته من أسفل .. صوته الملفوف بالصدى .. الأجوف كطبل ..

قال لى :

ـ « أنا فى القاع يا (رفعت) .. تعال ولا تخف .. لقد فككت الحبل ..

ـ « هل أنت متأكد ؟ »

لم يرد ، فنظرت حولى .. ثم توكلت على الله وجذبت الحبل إلى أعلى .. أحكمت لفه حول خصرى ثم خطوت إلى داخل الصندوق وبدأت أهبط ..

الظلام دامس لكن كشاف (ويلارد) مسلط إلى أعلى ليصنع دائرة نور من حولى ، ولهذا السبب لا أستطيع النظر لأسفل كى لا يعمينى .. أهبط .. أهبط ..

ليس الهبوط صعبًا إلى هذا الحد لأن هناك درجات محفورة ذات ميل لا بأس به .. إن مهمة الحبل لا تزيد على المزيد من الضمان .. أعتقد أنه سيكون على (ويلارد) أن يصعد لاسترداده لأننا لن نستغنى عنه ..

لا بد أننى هبطت تسعة أمتار ـ نحو ثلاثة طوابق من طوابقنا ـ إلى أن لمست قدماى الأرض ..

قال لى فى مرح :

ـ « هل رأيت ؟ قطعة من الكعك .. »

كناية عن السهولة .. فهززت رأسى ورحت أنظر إلى هذا المكان الغريب .. كان قاعة شاسعة .. لولا خداع البصر لقلت إنها باتساع ميدان التحرير ذاته .. الكشافات لا تبلغ نهايتها ..

الضوء يسقط على تكوينات .. لا أعرف هل هى صخور غريبة الشكل أم تماثيل قبيحة .. لكن الظلال تجعلها حية تتحرك ..

على مرمى ما يبلغه الكشاف هناك مبنى حجرى واضح تمامًا أنه من صنع البشر .. لم أر مثيلاً لهذا الطراز من قبل ، إلا ربما ـ والتشابه بعيد جدًا ـ فى تلك المعابد الكمبودية المنسية وسط الأحراش .. هذا معبد بلا شك .. ولكن أى معبد ؟ نحن فى (أسكتلندا) ولسنا فى أحراش الشرق الأقصى ..

كان (ويلارد) عاجزًا عن الكلام ولا ألومه كثيرًا .. إن هذا المشهد يخطف الأنفاس .. ومد يده ليخرج الكاميرا ويلتقط عدة صور ..

ـ « هل من تفسير ؟ »

قلت فى ضيق :

ـ « الأمر مذهل لكنه متسق منطقى .. هذا هو معبد تلك الجماعة .. ولعله مقر ذلك الأخ (دراجوسان) نفسه .. »

بانبهار هتف :

ـ « إذن هى ديانة لم نسمع عنها قط .. »

ـ « إن بلادكم هذه تعج بالديانات القديمة .. سوف نفترض أن هذه العقيدة ظلت تمارس سرًا برغم دخول المسيحية البلاد .. »

فى بطء راح يرتقى الصخور متجهًا نحو واجهة ذلك المعبد .. نظر بعمق إلى النقوش على الجدار .. كان هناك باب فى الحجر .. لكنه باب موصد ..

قال لى باسمًا :

ـ « تعال وانظر إلى هذه النقوش .. »

لاهثًا رحت أتسلق الصخور مثلما فعل .. والتوى كاحلى عدة مرات .. فى النهاية وقفت جواره ننظر إلى النقوش ..

غريب هذا !

إن النقوش أقرب إلى مفاتيح آلة كاتبة أو كمبيوتر .. يمكن الضغط عليها .. إن هذا أول باب مغلق برقم سرى فى التاريخ .. لا بد أن الضغط على مفاتيح معينة يؤدى إلى أن يفتح .. لكن أية نقوش ؟

قال وهو يدقق النظر باستعمال الكشاف :

ـ « هذه أرقام .. هناك نظام رقمى معين يجب أن ندق بـه هذه المفاتيح .. »

ـ « يا سلام .. لماذا لا أشعر بأنك عبقرى إلى هذا الحد؟ »

هنا فقط هتف وهو يتأمل النقوش التى يعج بها الجدار :

ـ « لحظة .. هذه كلمات باللاتينية .. هؤلاء القوم يلعبون باللغات القديمة لعبًا .. سأذكر لك المعنى العام للكلام : يمكنك أن تعرف كيف يفتح هذا الباب أيها الغريب لو أجبت عن اللغز المدون على ظهر الصنم ذى العين الواحدة .. فقط من يعرفون يستحقون أن يعرفوا أكثر .. »

الصنم ذو العين الواحدة ؟هناك دائمًا واحد فى هذه القصص .. يخيل إلى أن تلك المعبودات الوثنية القديمة كانت عوراء جميعًا ..

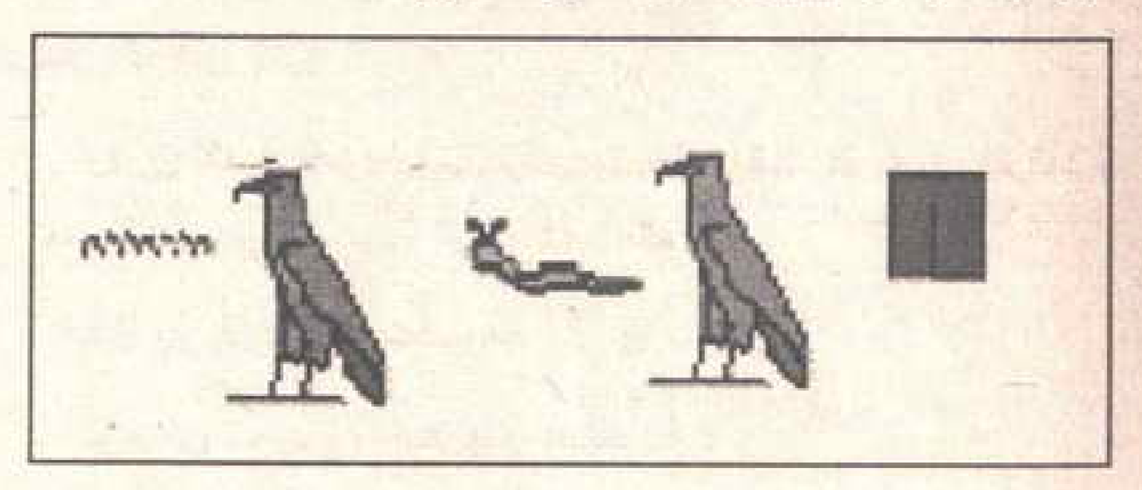
الصنم ذو العـ .. هاهو ذا .. حسبته صخرة هوت من السقف ، لكنى الآن أتبين انه صنم ارتفاعه كارتفاعى .. وهناك ـ كما يقول الأخ (ويلارد) ـ لغز مدون على ظهره ..

متوجسين اتجهنا إلى الصنم إياه ورحنا نتفحص ظهرهُ ..

اتجه إلى صفحة 222 وجرب معنا ..

كانت جميلة .. جميلة جدًا إن شئت أن تثق برأيى .. وهذا أمر عسير بالنسبة لرجل فى سنى وضعف بصرى ، خرج من الماء حالاً وعويناته مبتلة بالماء .. لكن أعتقد أننى على صواب ..

ثوب طويل يصل إلى كاحليها ... شعر طويل يصل إلى أسفل ظهرها .. قلادات عملاقة على صدرها .. وهذه العبارة التى أكتبها بالعرض كى لا أسبب مشكلة للمطبعة (دعنا نتصور جدلاً أنها تُقرأ من اليسار لليمين لا من أعلى لأسفل) :



قلت لها وأنا أنهض :

ـ « طبعًا الآنسة ضلت طريقها مثلنا ؟ »

تكلمت بصوت عميق غريب وبإنجليزية عتيقة جدًا ، هى أقرب إلى الألمانية .. أى أنها أم اللغة الإنجليزية :

ـ « غريبان شجاعان قد اجتزتما الهرم .. قد مررتما بأهوال كثيرة وإننى لكما أنحنى .. »

ثم ركعت على ركبة واحدة وحنت رأسها وهى تضع يدًا واحدة على صدرها ..

نهض (ويلارد) بدوره وبصق ماء ، ثم سألها :

ـ « سنكون سعيدين لو عرفنا من أنت ؟ »

نظرت للسقف وقالت :

ـ « أنا (برسيفون) روح الخير الحبيسة هنا .. معى تنجوان .. معى تعرفان السر .. »

ودون كلمة أخرى استدارت مبتعدة .. الفتاة غير الثرثارة جديرة بأن يتبعها المرء إلى حافة العالم ..

قال (ويلارد) فى عصبية :

ـ « هل تنوى أن تتبع هذه المخادعة ؟ »

قلت بلا مبالاة وأنا أمشى وراءها :

ـ « ليس لدينا حلول أفضل .. بعبارة أخرى لا نملك خيارًا .. »

ثم لحقت بها وهى تمشى بلا إبطاء كأنها طيف جوار شط تلك البحيرة الصغيرة :

ـ « من أين تأتى كل هذه الإضاءة ؟ »

قالت دون أن تنظر لى :

ـ « أنت فى كهوف (دراجوسان) .. حيث الجدران ذاتها مسحورة .. هنا لا تسأل أسئلة وإنما تلقَ ما تراه على أنه حقائق .. »

واصلنا المشى خلف (برسيفون) هذه .. كانت تمشى بمحاذاة البحيرة .. وعلى الجهة الأخرى جدار لا ينتهى يزدان بالتماثيل وأشياء تشبه الأيقونات ..

فجأة توقف (ويلارد) وهتف :

ـ « لن أتحرك ! »

قلت له ما معناه :

ـ « اعقل أيها المجنون .. »

قال فى عناد البغال :

ـ « أنت المجنون الوحيد هنا .. لن أتبعها خطوة واحدة قبل أن أجد تفسيرًا .. قبل أن أعرف إلى أين تقتادنا كالنعاج .. »

نظرت لها فوجدت أنها مستمرة فى المشى بلا نظرة واحدة للوراء .. قلت له :

ـ « البقاء حيث نحن هو الموت الأكيد .. »

ـ « والرحيل معها محفوف بالخطر .. سأعود إلى البحيرة .. »

- « من الغباء أن نفترق .. »

- « هو رأيى ضد رأيك .. وكلاهما لا يساوى شيئًا من دون رأى ثان .. إذن ليفعل كل منا ما يحلو له .. أنا عائد ! »

إذن هو الفراق .. لا أحب هذا لكننا فى موقف متعادل .. لا أريد أن تضيع لى الفرصة الوحيدة للنجاة على ما أعتقد .. ثم إننى قدرت أنه سيتبعنى متى وجد أنه وحيد خائف ..

هكذا ودعته فلم يطل الوداع .. سرعان ما كان يستدير مبتعدًا ..

واصلت السير وراء الآنسة (برسيفون) التى راحت تعبر تلك المساحة الطويلة التى لا نهاية لها ..

الإضاءة تتغير إلى درجة فيروزية .. لو كنت فى ظروف أخرى لقلت إنها جميلة أما الآن فأنا أراها غريبة وكل غريب مفزع ..

فجأة خطر لى إننى مخبول فعلاً ..

أمشى كل هذه المسافة فى كهف غريب وراء فتاة لا أعرف عنها إلا أنها جميلة .. إلى أين تأخذنى ؟ لقد اعتدت أن تكون المرأة الجميلة الغامضة عدوًا .. المرأة كـ (آخر) كما كانوا يصفون ممثلة الرعب العظيمة (بربارا ستيل) ..

إنها تواصل طريقها .. لا أعتقد أنها ستحاول منعى ..

قالت من دون أن تلتفت للوراء :

- « تريد صاحبك .. وهذا من حقك .. لكنك تضل الطريق إن عدت .. سبعة مواضع قد يكون فيها .. جرب حظك .. لكن أسرع .. »

هل أعود أم أواصل رحلتى معها ؟

لو كنت ترى أن أعود فعليك بصفحة 30

لو كنت ترى أن أبقى معها فعليك بالصفحة التالية

هكذا واصلت السير وراء تلك الفتاة .. سمعت فتيات يصفن أنفسهن بكل نعت جميل ، لكنى لم أسمع قط من تدعو نفسها بـ (روح الخير) .. عسى أن يكون لها من اسمها نصيب ..

مسيرتنا مستمرة على حافة البحيرة ..

فجأة توقفت .. ثمة شىء يرتفع من مياه البحيرة والماء يتساقط منه .. شىء أسود عملاق يبدو للوهلة الأولى كتلة متشابكة من الأعشاب ، ثم تدقق البصر أكثر فتدرك أن هذا شىء تغطيه الأعشاب .. شىء مفزع لا تتمنى أبدًا أن تعرف كنهه ..

إنه يرتفع أكثر ثم يدور دورة بطيئة وسط المياه وينقض على الشط .. باتجاهى أنا ..

لم تنظر للوراء إنما قالت بلهجة روتينية كأنما هى سكرتيرة ملول :

ـ « عد يا من تأتى من الأعماق .. إلى الظلمات تعود . بين أعشاب الأعماق ترقد .. هذا الفانى ليس لك .. نافاح .. نافاح ! »

هنا ارتفع الشىء مرة أخيرة ثم هبط فى الأعماق من حيث جاء ..

هذه الفتاة مفيدة جدًا على ما يبدو .. وعلى الأرض وجدت قطعتين من المعدن .. كأنما الوحش قد ألقى بهما على الشط قبل أن يغوص .. قطعة المعدن الأولى بحجم قبضة يدك وعليها كتب

Dorothy والأخرى مستديرة كتب عليه Artemis .. مددت يدى لألتقط القطعتين فلاحظت ظاهرة غريبة .. لا يمكن أن آخذ الاثنتين معًا ..

هكذا قررت أن أحتفظ بواحدة .. قلبى يحدثنى بأن هذه القطع قد تفيد .. أسلوب هذه الكهوف يقول هذا .. كل شىء له غرض يتضح فيما بعد .. هذه هى النظرة (الغائية) للكون ..

ترى أية قطعة تختار أنت ؟ خذها وضعها فى جعبتى صفحة 141 ربما نحتاج إليها فيما بعد .. اكتب فقط هل هى (دوروثى) أم (أرتميس) ..

كانت مواجهة الوحش مخيفة بحق ..

لا أعرف لو حدث لى هذا وأنا وحدى فماذا كنت أفعل .. الأهم هنا أن لفظة (نافاح) لها أهمية ما فى هذا العالم .. واضح أنها تبعد الخطر ..

ثم خطر لى سؤال آخر ..

ماذا لو كان هذا الشىء قد ظهر لأن الفتاة معى ؟ .

والسؤال الأهم : ماذا لو كان هذا الشىء هو خلاصى وقد فررت منه ؟

فى هذا العالم كل شىء معكوس وغريب .. ربما يبدو الخير بهذا الشكل .. أسود عملاقًا مفزعًا ؟

بينما الشر يبدو كفتاة رشيقة رقيقة تعرف ما تفعل ؟

وهنا تذكرت القلادة التى تعلقها على صدرها .. عد إلى صفحة 183 لتتذكر .. قارنها بصفحة 237 .. إذن هى (نافاح) ذاتها .. (نافاح) اسم فتاة ..

ما معنى هذا ؟ هل هى صادقة فى كونها رمز الخير ؟ أم أن العراف حذرنى منها فى نبوءته ؟

ثمة مزية مهمة الآن .. سوف أعرف كل شىء حتمًا ..

ونواصل السير ..

قلت لها بعد ما طال المشى :

ـ « آنسة (نافاح) .. آنسة (نافاح) .. »

قالت دون أن تنظر لى :

ـ « أنا (برسيفون) .. »

ـ « ليكن .. إلى أين نحن ذاهبان بالضبط ؟ »

ـ « إلى قلب السر ! »

ومن بعيد بدأت أرى مجموعة من الصخور العالية المدببة لا يختلف منظرها عن مجموعة من البشر يلعبون الشطرنج .. لا بد أن نمر بينها ..

فى قلب الدائرة كان ضوء أحمر غامض لا أدرى كنهه ..

رأيتها تدنو من الصخور .. ترفع يديها مفتوحتين وتصيح بصوت جمد الدم فى عروقى :

ـ « ذاك الغريب لا تلمسوا .. أى أبناء (فالهالا) الشجعان ! قد جاء يحمل قلبه فى يده ، وله الأمان نعطى !! »

(فالهالا) ؟ الآن صار كلامها ذا طابع شمالى (نوردى) لا شك فيه .. هذه الكهوف فعلاً خليط من كل كلام فارغ اعتقد به الناس قديمًا .. إنها مثل (ديزنى لاند) .. فيها ركن للقراصنة وركن لوحوش ما قبل التاريخ وركن للفراعنة ..

لكن ـ المفزع ـ أننى رأيت الصخور تنهض .. تفسح المكان .. تتنحّى .. وهنا أدركت أن ما تصورته أولاً لم يكن منافيًا للحقيقة .. فعلاً هذه الصخور كانت جالسة مجتمعة تتسامر حينما مررت بها .. ولو لم أكن مع الفتاة فماذا كان يحدث ؟

بالتدقيق أدركت أن هذه وحوش عملاقة تبدو كالصخور .. أو صخور عملاقة تبدو كوحوش .. لا أعرف بالضبط .. المهم أنها شىء مفزع وأننى سعيد برحيلها ..

لم أسمع من قبل عن صخور جالسة للعب الطاولة وشرب الشاى لكن لا بد أن هذا هو وصف الموقف ..

تتقدم الفتاة وسط الدائرة وأسير وراءها ..

أخيرًا نحن نقف وسط مساحة خاوية من المعالم المهمة .

فقط البحر ما زال يتدفق إلى جوارى ..

تقول لى وهى تشير إلى حفرة فى الأرض :

ـ « هل سمعت عن الـ (ويجا) ؟ »

(الويجا) بالطبع هى تلك اللوحة التى كتبت عليها حروف ، وتضع عليها لوحة متحركة ثم تتلقى إجابات الأرواح عن أسئلتك إذ تتحرك اللوحة فوقها ..

لا أؤمن بتحضير الأرواح وأعتقد أن فى الأمر خدعة ما أو أنها الشياطين تعابثنا .. لكن هذا لا يبدل إجابتى : نعم سمعت عن (الويجا) .. سمعت عنها كثيرًا جدًا ..

أشارت نحوى كى أتقدم ففعلت فى حذر وتوجس ..

هناك نظرت إلى الحفرة فأدركت ما تتحدث عنه .. إن قاع الحفرة مزخرف بحروف ورسوم متقنة .. لوحة (ويجا) عملاقة بحجم هذه الغرفة التى تجلس فيها .. وهناك لوحة متحركة بالفعل لكنها لا تقل عن أبعاد جريدة مطوية .. اللوحة لا شىء يثبتها فوق (الويجا) .. بعبارة أخرى هى تطفو فوق الحروف طفوًا .. قالت لى وهى تمسك بيدى :

ـ « فى هذه اللوحة تعرف إجابة سؤالك .. تذكر أن (دراجوسان) يسبقك بخطوة .. ليست خطوتين .. »

كانت يدها باردة قاسية .. ولم أشعر بأدنى راحة لدى لمسها ..



قلت لها :

ـ « ماذا أفعل بالضبط ؟ »

ـ « اُخطُ فوق اللوح ودعه يتحرك بك .. واقرأ ما يقول .. »

أخطو فوق اللوح ؟ هذا يبدو مرعبًا أضف لهذا أنه (قلة قيمة) لا شك فيها .. نظرت لها مترددًا فقالت فى إصرار :

ـ « اُخطُ !! »

هكذا خطوت داخل الحفرة لأقف فوق اللوح الذى لم يبد ثابتًا .. شعور غريب لا بد أن ممارسى رياضة الانزلاق على لوح فى الماء يعرفونه ..

إننى أتحرك ..

يمكننى الآن أن أتابع الحروف التى تظهر بين قدمى .. أحاول أن أتزن فلا أقع ..

قالت لى :

- « سل ما تريد .. لكن استخدم عقلك أولاً .. »

أحاول أن أتتبع الحروف :

E-S - B - H- H- P- T- B- O

ما معنى هذا ؟

J-T

U-H-F

D-B-W-F

هناك رسالة مهمة جدًا لكن لا معنى لها على الإطلاق ..

E-S - B - H- H- P- T- B- O

J-T

U-H-F

D-B-W-F

بالنسبة لك كشاب معاصر ، يبدو الأمر كأننى أقوم بتنصيب برنامج كمبيوتر جديد ، وأن هذا هو رقمه المسلسل ..

قالت لى وقد هدأ اللوح عن الحركة قليلاً :

- « والآن أتركك بعض الوقت .. تعال واجلس جوار الحفرة أيها الفانى ، وحاول أن تعرف ما قالته لك حكمة اللوح .. »

وهكذا اتجه اللوح إلى الحافة ، فوثبت منه إلى الأرض شاعرًا بأننى وثبت من قطار (المنصورة) قبل أن يتوقف ..

ماذا تتوقع منى أن أعرفه من هذه الرموز ؟

قالت وهى تجمع أطراف ثوبها الأبيض :

- « فكر قليلاً .. لو لم تعرف الجواب فالحق بى فى نفق الأشباح ، أما إن عرفت فنادنى كى أسدى لك العون .. »

جلست على حافة الحفرة ورحت أقدح زناد فكرى .. لا أعرف ما هو (نفق الأشباح) هذا ، لكن المؤكد أنه يعنى خراب بيتى .. اسمه نفسه كارثة .. إذن لا بد أن أعرف ما يعنيه هذا الأحمق .. هذه الحروف شفرة ما .. لكن ما هى ؟

تذكر قصة الحشرة الذهبية لإدجار آلان بو وكيف تم فك اللغز بطريقة بسيطة .. حرف A هو أكثر الحروف استخدامًا فى اللغة الإنجليزية .. يليه حرف T فلماذا لا أرى حرف A واحدًا هنا ؟!!!

تذكر كلماتها .. هى أعطت تلميحا منذ صفحتين ..

فكر .. فكر ..

لو وصلت إلى الجواب حقيقة (بلا خداع) انتقل إلى صفحة 43

لو لم تصل لشيء انتقل لصفحة 84

إذن ما زال الوقت مبكرًا ..

لا أعرف كيف تتجاوب مع الأحداث بينما من حولك صخب الشوارع والجيران وألف جهاز تليفزيون مفتوح على ألف فيديو كليب .. إنه التغريب كما وصفه (بريخت) وكما اشتهاه .. انفصال تام عما تقرؤه وعقلانية كاملة .. ليست هذه هى الطريقة المثلى لقراءة الرعب ..

ليكن .. إذن ..

سنأخذ المفرق الأيسر ..

تعال يا (ويلارد) نمشى فى هذا الممر الضيق .. هناك وطاويط طبعًا .. هذه الثدييات المقززة التى تعتبر نفسها غسيلاً متسخا معلقًا على الحبال .. لا تخف .. لا أعتقد أن هناك وطاويط مصاصة للدماء فى إنجلترا .. كلها فى أمريكا الجنوبية ..

هناك باب عتيق خشبى ..

على الباب هناك كلمات مكتوبة .. إنها باللاتينية ..

قال (ويلارد) وهو يقرأ النص :

- « يبدو أن (دراجوسان) نفسه هو الذى كتب هذه الكلمات .. »

- « لابد إنه تحذير طبعًا .. أنت أيها الغريب قد انتهى أمرك .. لقد خرب بيتك .. الويل لك .. إلخ .. هلم ترجم .. »

قرب الضوء من الحروف التى كتبت على الخشب العتيق بطريقة زخرفية جميلة مع الكثير من الحروف الاستهلالية التى تشبه التنين ..

وراح يقرأ :

أنت إذ تدنو من هنا أيها الغريب تقترف الخطأ الذي لا رجعة عنه، والذي تعلمت أنه ديدن الفانين ..

أنصحك ألا تقرأ هذا النص .. ماذا أنت واجد فيه ؟ لا شيء إلا المزيد من الشقاء وأسئلة لا جواب عنها .. أغلق عينيك الآن واهرب إلى صفحة 170، لأنك إذ تقرأ هذه الكلمات تسقط أكثر فأكثر تحت قبضة الليل البهيم .

لكنك ما زلت تقرأ .. لقد انتهى ثلث كلماتي .. وقد أنذرتك مراراً.. أغمض عينيك وفر من هنا ..

لكن الفضول البشري أقوى منك .. ما زلت تأمل في معرفة المزيد .. ما زلت تأمل في أن تقدم لك هذه السطور قوة تعلو بها فوق الآخرين الذين لا يعرفون .

توقف .. آمرك أنا (دراجوسان) بأن تتوقف !

توقف .. آمرك أنا (دراجوسان) بأن تتوقف !

الآن .. هنا والآن (هك إ يوبيك !)

لكنك مستمر في مطالعة هذه الكلمات، عالماً أنها قد تقودك إلى نهايتك .. إذن فلتسمع الكلمة : (جبيورا Geburah) فلتعلم أن حياتك بعد سماعها لم تعد قط كما كانت .. وهأنذا قد فرغت من كلماتي فقل لى ماذا تعلمت ؟

لقد تحملت بلعنة (جبيورا) فلتلق مصيرك ..

قلت لـ (ويلارد) بعد ما انتهى من قراءة النص :

ـ « هذا الـ (دراجوسان) يملك قدرات عالم نفسى بارع .. أعتقد أن عيادته كانت ستحقق أعظم نجاح لو لم ينشغل بالسحر الأسود .. لقد عرف منذ البداية أننا سنقرأ النص حتى نهايته »

قال وهو يمد يده إلى الباب :

ـ « ربما لم يكن الفضول هو ما هزمنا .. إنه استخفافنا بهذا ونحن أبناء القرن العشرين .. »

ثم فتح الباب .. وكان واضحًا أنه ثقيل جدًا ..

دخلت وراءه .. وعلى ضوء الكشاف استطعنا أن نرى أن هذه قاعة واسعة .. لكن الأمر يشبه عش الحمام .. هناك فتحات مستديرة على الجانبين وهذه الفتحات مظلمة ، لكنها تسمح بدخولك أنت نفسك لو أردت ..

ما هذا المكان ؟ هل هو الفرن ؟

فى نهاية القاعة هناك مجموعة من عشرة تماثيل متماثلة فى الشكل والحجم .. الواحد منها بحجم كلب يجلس على قائمتيه الخلفيتين ، وحقًا كان كل تمثال يحمل ملامح كلب .. إلا أن ألوانها كانت متباينة حقًا .. واحد أصفر اللون وواحد أحمر وواحد أزرق وواحد أسود وواحد شفاف .. إلخ .. وقد اندهشت لأن الألوان الزاهية كانت محتفظة برونقها بعد كل هذه الأعوام التى أعتقد أنها طويلة ..

فجأة سمعنا الباب ينغلق ..

نظرت إلى (ويلارد) وقلت بصوت مبحوح :

ـ « لا أريد أن أبدو متشائمًا .. لكن المكان بصورة عامة يعطى انطباعًا بكمين منصوب ! »

وفى هذه اللحظة عرفت أننى محق ..

تعال إلى صفحة 228 لتعرف ما حدث ..

(أرتميس) !

إن كان هذا العراف فى صفى فمن الواجب أن أعود ..

أنا الآن فى خانة (لم يعرف السر ـ معه القمر)

وهكذا استدرت وقررت أن أمشى فى الممر المقزز مرة أخرى .. لقد ذابت أكثر الوجوه فلن يكون هنا رعب وإنما تقزز ..

سمعتها تصيح من دون أن تنظر للخلف :

ـ « إما أن تصدقنى أو تصدقه .. وعليك أن تعرف أنه لا تراجع فى اختيارك أيها الغريب .. »

طبعًا لا أصدقك .. ما دمت أعود الآن فقد اتضح الجيش الذى أحارب فيه ، وهو ليس جيشك .. صحيح أننى لا أعرف هذا العراف ولا أضمن إن كان فى صفى أم لا .. لكنى قررت أن أثق به ..

هكذا واصلت رحلتى لأخرج من هذا الكهف اللعين ..

* * *

ثمة شىء يشتبك بقدمى .. فى الحقيقة لست متأكدًا لكن 90٪ من الأشياء المشتبكة بالقدمين هنا أفاع .. لكنى قررت أن أنحنى لأرى ما هو ..

مددت يدًا متوجسة كنبية فرأيت أنها قلادة .. قلادة عليها نقش

بارز لتنين .. هل لها نفع ما ؟ لا أعرف .. لكن هناك أشياء يتضح أنها مفيدة جدًا فى هذا التيه .. لقد كتب على القلادة لفظ (هلميوس) فهل هذا يغرينى أم ينفرنى ؟ هل آخذها ؟ إن كنت ستأخذها فأرجو أن تدون ذلك فى الحقيبة صفحة ١٤١ ، وإن لم تنو فلتتناس وجودها ..

الآن أواصل السير وقد خرجت من ذلك النفق الرهيب .. نفق الأشباح . لكن ـ كما يحدث كثيرًا فى هذه الكهوف ـ أرى منظرًا لا أعتقد أننى رأيته من قبل .. هناك مجموعة من البشر لا يقل عددهم عن ثلاثمائة .. وهم يقفون متلاصقين .. الثياب ليست ثياب هذا العصر .. كأنها تمت للقرون الوسطى والوجوه كذلك غريبة جدًا ..

ثمة نار فى الوسط .. نار تتأجج حتى لتوشك على أن تلامس السقف .. هناك فى وسط الحلقة تقف تلك الفتاة التى قررنا أن اسمها (برسيفون) وأرى أنها (نافاح) ..

هناك شىء يشبه المذبح الحجرى .. وهناك تمثال عملاق يمثل وجه رجل .. ليس وجه رجل يوحى بالحكمة والسيطرة مثل تماثيل الفراعنة ، ولكنه وجه شيطانى مخيف عليه أشنع ضحكة شهوانية يمكن تخيلها ..

وكان الرجال يرددون بصوت خفيض :

ـ « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

ثم بدأت الأقدام تضرب الأرض .. من ثم يتصاعد إيقاع محبب .. ويتعالى الصوت أكثر بطريقة الكريشندو :

- « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

مع ضربات الأقدام هناك دقات طبول ..

- « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

ثم بدأت تلك الفتاة تدور وسط الدائرة وهى تأتى بحركات هستيرية مجنونة كأنها فى قمة النشوة أو قمة العذاب .. شعرها ينتثر من حولها . وهى تتجه لأقصى اليمين ثم أقصى اليسار .. ثم تدور حول نفسها ..

- « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

تلقى شيئًا فى النار فتتأجج أكثر .. هل أنا أحلم أم أن هذا اللهب له شكل بشرى ما ؟

أنا أمشى فى ثبات نحوهم وإن كنت لا أرغب فى هذا ..

والصوت يتعالى :

- « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

ثمة شىء مخدر .. ثمة شىء غير مريح فى هذا كله ..

وفجأة أدركت الحقيقة المفزعة .. إننى أقف وسطهم فعلاً .. والأسوأ أنهم جميعًا ينظرون لى ..

ثم تدنو تلك الفتاة منى وترقص حولى بتلك الطريقة التى تذكرنى بحفلات الزار ..

رأيت الرجال يتقدمون نحو التمثال العملاق فيمدون مشاعلهم داخل العينين والفم .. اللهب يتأجج من هذه المواضع ويخرج من طاقتى الأنف .. المنظر يذكرنى بالفرن الذى تم إيقاده ..

- « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

وأنا مفتون مبهور .. حتى وجدت أننى أرقص معها بالكيفية ذاتها .. أنا العجوز الوقور أرقص مثل حفلات الزار ..

كنت أتوجس خيفة من هذا المشهد ..

هذا هو على الأرجح شعب (دراجوسان) الذى ظل هنا أعوامًا .. منذ اعتقد ذلك الأحمق (ماكتاير) أنه دفنهم أحياء .. من الواضح أنه أوجد لهم سبلاً غير تقليدية للحياة ..

كان معظم هؤلاء شاحبى الوجه تمامًا .. هذا متوقع مع بشرات لم تر الشمس قرونًا .. وكانوا مكفوفين .. أكثرهم كان كذلك .. هذا متوقع مع حياة الكهوف والظلام حيث تعلمت العين ألا تبصر .. إنهم شاحبون كطحالب على جدران كهف ..

وماذا يأكلون ؟ لقد صارت أسئلة من هذا النوع مملة .. بالتأكيد يأكلون الوطاويط والفئران ولا مانع من لحم الحمقى الذين يأتون هنا ..

- « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

وأنا جئت هنا ..

لأنى كمجنون حسبت أننى قادر على أن أعرف وأنجو بما عرفت .. أحمق ! حتى الأساطير الإغريقية لم يصل بها الجموح إلى هذا الحد وجعلت (إيكاروس) يهلك لأنه عرف الكثير ودنا من الشمس ..

- « (دراجوسان) .. (دراجوسان) .. »

إنها الآن تدعونى إلى الذهاب باتجاه معين ..

الفم !

نعم .. فم التمثال المشتعل .. إنه رجل مفتوح الفم كأنه يتثاءب والآن أعرف بوضوح إن شفته السفلى لها شكل درجات صاعدة .. كأنك تتسلق التجاعيد إلى داخل الفم .. والفم فرن عملاق ..

هم يريدون منى أن أدخل ..

المشكلة هى أننى لا أبالى فعلاً .. قدماى تتحركان حركة خاصة بهما .. إننى منوم مغناطيسيًا بفعل هذا الغناء المحموم الذى يقودك إلى نهاية ما .. مثل طبول السيرك التى تتسارع قرب القفزة الخطيرة للاعب الإكروبات .. بعدها ضربة قوية على الصناج ثم تصفيق حاد ..

قالت لى المرأة :

- « قلادة (هلميوس) تحدد مصيرك .. إن كانت معك فأنت لها ، وإن لم تكن معك فأنت لست لها ! »

يا سلام ! يالها من دقة لغوية !

إننى أقترب من الدرجات .. أصعد ..

الوهج الحار يشوى وجهى .. ماذا يريد هؤلاء الحمقى ؟ هل قطعت كل هذه المسافة من أجل مجموعة مخابيل يحبون اللحم المشوى ؟ كنت أتوقع ما هو أعقد من هذا .. أكثر سموًا من هذا ..

إننى أدخل من الفم المفتوح ..

راجع صفحة 141

إن كانت القلادة معك فلتتوجه إلى صفحة 73

إن لم تكن معك فعليك بصفحة 242

* * *

إذن اخترت التمثال الذهبى الذى له لون الشمس ؟ إنه بهيج على كل حال ..

إن لفظة (تيفريث) ترمز إلى التوازن .. الهارمونية .. كما أنها ترمز إلى الضمير البشرى ..

إن التمثال ثقيل لكنى أحاول .. فلما لم أستطع نظرت إلى (ويلارد) المذعور وأمرته بأن يساعدنى ..

فى النهاية أزحنا التمثال جانبًا ..

وفى قاعدته وجدنا ذلك الزر الحجرى الذى ارتفع وقد تحرر من ثقل التمثال .. كأنما هناك زنبرك قوى من تحته ..

وفى اللحظة التالية وجدنا أن ..

لقد وثبت تلك الغيلان من مخابئها فى اللحظة ذاتها .. عشرون غولاً اشتعل ظهره وثبوا علينا وهم يعوون ويزأرون ! من السهل أن تتصور طريقتهم فى التعامل مع البشر ..

كأن التمثال كان يحبسهم حيث هم !

لقد أخطأت ! التوازن لا يتمشى هنا .. كنت بحاجة إلى اختيار قوة (السيد) الحازمة ..

وكانت اللحظات التالية قاسية .. لكنها ـ على الأقل ـ سريعة .. سريعة جدًا ..

* * *

فرغ الوسيط من جلسته وكف القلم عن الكتابة ..

كنت أقف هناك خلف ظهره أرقب الورقة .. لقد كتب القصة كلها .. لا أعرف لماذا تحمست لكنى أردت أن يعرف الجميع الحقيقة ..

قال لمن معه :

ـ « يمكن القول إنه وصاحبه هلكا فى ظروف مريعة .. لا أصدق ما يقول لكن الموتى كفوا عن الكذب .. »

ثم أردف وهو يغلق الدفتر المفتوح :

ـ « على كل حال هو كرر ما قلناه مرارًا .. يوجد سر مخيف فى كهوف (دراجوسان) ومن الخير لنا أن نبتعد عنها .. »

وهكذا جمع الجالسون أوراقهم .. (ماجى) العزيزة تبكى بلا انقطاع .. وقفت جوارها وحاولت أن أشرح لها أننى بخير .. لكن كيف ؟ أنا لست بخير ..

الجالسون يخرجون من الغرفة وأنا أصرخ بصوت لا يسمعه سواى :

ـ « وماذا عنى أنا ؟ ماذا عنى أنا ؟ . »

ربما كان على ألا أخلد للنوم ..

لماذا لا تعود لصفحة 230 وتجرب احتمالاً آخر ؟

[تمت]

قلت له وأنا أنظر إلى الوراء :

ـ « لا جدوى .. يجب أن نرجع فورًا .. »

وتساءلت في سرى عن السبب الذى جعلهم لا يهرعون لقنصنا فوق الجسر ..

هنا سمعت (ويلارد) يقول :

ـ « أنظر أمامك ! »

نظرت للأمام فرأيت على الجرف الذى دخلنا منه شيئًا آخر .. كان واحد من هؤلاء القوم يقف هناك حاملاً سيفًا عملاقًا ، وقد بدأ في قطع الحبل الغليظ !

لقد وقعنا في الشرك كدجاجتين ، ولسوف يكتمل الأمر حينما يشوينا هؤلاء أو تحرقنا الحمم .. دجاجتان مشويتان في نهاية الأمر مهما حدث ..

قال لى في هلع حتى بدا موشكًا على البكاء :

ـ « ماذا نفعل ؟ »

كنت أفكر بسرعة ..

لابد من حل ما .. أعرف طريقة هذه المسوخ في تقديم الحل مستترًا .. إن مرح (دراجوسان) لم يبدأ بعد ولا أحسبه شيد هذه الكهوف كعمل خير لتلك القبيلة ..

فكر بسرعة ثم تعال إلى صفحة 231

ما زلنا نمشى جوار الجدار ..

هل شعرت بالملل بهذه السرعة ؟

انتقل إلى صفحة 258

إذن هو القتل !

هرعت ـ على قدر صحتى ـ أقطع المسافة بينى وبين (ويلارد) ..

لم يجد الوقت الكافى كى ينظر إلى الوراء ..

رفعت البلطة ثم هويت على رأسه ..

« ابن التنين ما زال طفلاً .. فلتظفر به قبل أن يظفر بك .. »

نظر لى فى دهشة للحظة وعيناه الحمراوتان تتألقان .. ثم هوى على الأرض ..

رحت أضرب ..

وأضرب ..

وأضرب ..

ثم ألقيت بالبلطة فوق جسده ، ورحت أقطع المسافة الباقية مستعينًا بكشافى وأنا أترنح وألهث ..

كانت الدرجات تصعد لأعلى فصعدت وأنا أصيح :

ـ « الغوث ! الغوث ! »

أخيرًا وجدت غطاء كغطاء البالوعة فوق رأسى .. أتمنى ألا يكون موصدًا بإحكام .. ضربته برأسى لأزيحه إلى أعلى ..

وفى اللحظة التالية وجدت أننى فى قبو ، وأن الفئران تنظر لى مندهشة ..

هكذا جررت جسدى إلى الخارج وارتميت على الأرض ..

وفقدت وعيى ..

* * *

يقولون فى المصحة إننى أتحسن ..

إن العقارات التى أتعاطاها قد بدأت تؤتى أكلها ، وقد بدأت الكوابيس التى تداهمنى ليلاً تزول ..

لكن الطبيب مصمم على معرفة ما كنت أفعله فى ذلك القبو ..

يقولون إننى خرجت من البالوعة متسخًا ملوثًا بالدماء ، وإن عامل النظافة فى دار البلدية أصيب بحالة هلع جعلته يمزق الصمت بصراخه ..

يقولون إننى رحت أحكى عن صديق قتلته ..

بينما الشرطة لم تجد أى شىء بعد دخول تلك البالوعة ..

وقد قال لى الطبيب :

ـ « هذه البالوعة لا تقود إلى كهوف (دراجوسان) .. يجب أن تعى هذه الحقيقة جيدًا .. »

- « ومن أين جئت بالدم ؟ »

- « لقد قاموا بتحليل الدم وهم يعرفون يقينًا أنه ليس دمًا بشريًا .. أنت قتلت حيوانًا ما .. لعله فأر .. »

لكنى لم أندهش لهذا .. لو كان (ويلارد) قد تحول إلى ابن (دراجوسان) فإن ما يجرى فى عروقه ليس دمًا بشريًا .. إنه بالتأكيد ..

دم تنين ؟!!!!

سوف أتعافى .. أعرف أننى سأتعافى ..

لكنى أريد شخصًا واحدًا يصدق ما أحكيه .. شخصًا عاقلاً واحدًا يصدقنى ..

فهل تفعل أنت ؟

[تمـــت]

نعم .. سوف أهبط لأرى ما حل به ..

لقد دخلنا الكهوف اثنين وسنغادرها اثنين ..

تسلقت إلى الفتحة ودسست جسدى فيها ..

وبدأت أخطو فوق تلك الدرجات ..

إنها غير ثابتة .. يجب أن أحترس ..

لو كسرت قدمى هنا لكانت النهاية ..

أخيرًا أرى هذا الممر الطويل أمامى ..

هناك مشاعل على الجانبين .. وهى مشتعلة ..

إيماءة لم تغب عن فطنتى فأنا عبقرى كما تعلم .. لى كل الحق أن أقلق .. لى كل الحق أن أتوقع كارثة .. أضف لهذا صوت الضوضاء القادمة من عل ..

ثمة شىء يقف على الجدار القريب .. دنوت لأتفحصه فى ضوء الكشاف .. شعرت بالقشعريرة تزحف على ظهرى .. هذا مخلوق مستحيل يجمع بين صفات الوطواط والفأر والعنكبوت .. هذا (عنكباط) أو (فأروت) لو شئنا الدقة اللغوية .. منذ متى ظل هذا القبو مغلقًا ؟ مهما طالت تلك الفترة فلن تسمح بحدوث طفرات بيولوجية تؤدى إلى هذا .. هذه الأمور تحتاج إلى ملايين السنين ..

كل شيء هنا غريب أو مريع أو مقزز ..

تراجعت في ذعر عندئذ .. آ ه ه ه ه ه ه ه !!

لقد سقطت كل هذه المسافة ..

ما هذه الفئران التي تلتف حولي حيث سقطت ؟

هل كسرت رجلي ؟

إن كانت قد كسرت فعلاً انتقل إلى صفحة 221

إن كانت سليمة انتقل إلى الصفحة التالية ..

الحمد لله !

لم تؤثر في السقطة ..

لكن لأحترس لأن الحظ الحسن ليس رفيقًا مخلصًا ..

فلأنهض واجتاز هذا الممر ..

أمشي وأنا أنظر حولي ..

ثم خطر لي أن أنظر لأعلى .. فرأيت .. رأيت تلك الأجساد المتحللة أو الهياكل العظمية التي تتدلى من أعلى .. عبر فتحات ..

أنا تحت المقابر .. إذًا هذه لا تزيد على طريقة فريدة للدفن يمارسها هؤلاء القوم ، ويا له من تأثير مروع .. ثريات مخيفة تتابعني حيثما ذهبت ..

أواصل السير محاولاً ألا أنظر إلى أعلى ..

في النهاية رأيت تلك الساحة الواسعة ..

تلك المخلوقات التي تزحف يمينًا ويسارًا وتتسلق الجدران كالبرص .. إن لها مظهرًا بشريًا .. اليدان والقدمان .. لكن وجوهها مشوهة بشكل غير طبيعي .. ومن الواضح أنها عمياء .. أعوام من الحياة في هذا الظلام أفقدتها الحاجة للبصر .. وكانت في حجم طفل كبير ..

بعضها كان يتسلق إلى السقف الحجرى ويمد ذراعه بالكامل عبره ، كأنه يحاول الإمساك بأحمق من الحمقى الذين يمشون أعلانا ..

لا بد أن هذا السقف تتخلله فتحات مغطاة بتربة هشة ..

هذه الكائنات عاشت هنا منذ قرون .. حيث لم تكن تأكل إلا شيئا واحدًا ..

ولكن أين (ويلارد) من هذا كله ؟

كان هناك فى وسطهم .. كان حيًا لكنه أقرب إلى الموت من الذعر ، ويبدو أنهم كانوا يخططون للفتك به ..

المخلوقات عمياء !

كان عدد منها يحتشد قرب أحد الجدران يتصارع على فريسة ما ..

هكذا خطرت لى الفكرة .. مددت يدى فى الحقيبة وبحثت عن الديناميت .. إن تفجير هذا قد يكون جنونًا .. ربما ينهار هذا المكان إن لم تنهر الكهوف كلها لكن هذا هو الحل الوحيد الذى خطر لى .

حككت رأس علبة الثقاب بالعود ، ثم لامست الفتيل وانتظرت حتى تأجج اللهب ، ثم ألقيت بالإصبع على ذلك التجمع ..

لا بد أنهم لم يعرفوا ما يجرى ..

فقط سمعوا الصوت .. فتلفتوا ..

وهنا ..

بوووووووم !!!

ارتج المكان كله وتطاير عدد من هذه الوحوش .. بينما بدأ الغبار يتساقط من السقف .. بعضها أطلق زئيرًا مخيفًا وفر مبتعدًا ..

كنت أتمنى أن ألقى بإصبع آخر لكن لا تختبر حظك أكثر من هذا ..

ووسط الفوضى التى نجمت وجدت (ويلارد) على الأرض ، فصرخت فيه :

ـ « تعال أيها التعس !! بسرعة ! »

صاح بدوره :

ـ « (رفعت) .. إن المكان سينهار .. لم لم تنج بنفسك ؟ »

ثم تحامل على نفسه وراح يركض نحوى ..

أحد هذه المخلوقات لحق به لكنه ركله بشراسة فى وجهه ..

قلت له وأنا أشير إلى المكان الذى جئت منه :

ـ « هلم ! تحامل على نفسك قليلاً .. »

لكن الممر الذى جئت منه لم يكن فارغًا الآن ..

لقد تساقطت تلك الثريا الرهيبة لتسده .. على من يفجر الديناميت تحت مقبرة أن يدفع الثمن ..

صار العبور من هنا شبه مستحيل ..

قلت له وأنا أشعر بذلك الألم فى صدرى :

ـ « تعال لنبحث عن مخرج فى الناحية الأخرى .. »

وخرجنا إلى الساحة التى ألقيت فيها الديناميت ..

كانت فارغة إلا من بعض الجثث التى تناثرت لدى الانفجار ..

نظرت لأعلى وقلت لـ (ويلارد) :

ـ « أنت أصبى منى وأقوى .. حاول التسلق لأعلى لتخرج من هذه الفتحات التى خطفوك منها ، ثم قم بإنزال حبل لى .. »

نظر لأعلى .. لن يكون الأمر سهلاً لأن السقف على ارتفاع ستة أمتار .. لكنه ليس مستحيلاً ..

هكذا تشبث بالجدار وبدأ يتسلق .. إن تلك الكائنات تملك المخالب أما هو فلا ..

ونظرت حولى لأراها قد بدأت تقترب من جديد .. تسمع صوت الصخب الذى نحدثه .. سوف تتجمع حولى لكن لن أجسر على تفجير ديناميت جديد ..

هنا سمعت صوتًا عميقًا يقول :

ـ « لا جدوى من المحاولة.. قل لصاحبك أن ينزل ! »

ونظرت مذعورًا إلى الوراء لأجد ذلك الرجل فارع الطول الذى يلبس ثيابًا لا تمت لهذا العصر .. كان له وجه رجل مسن يستطيل شعره الرمادى ليغطى كتفيه ، لكنه ليس مسنًا من الطراز الذى تثق به ..

قال وهو يعقد ذراعيه على صدره :

ـ « أنا (دراجوسان) .. وهذا بيتى .. »

ثم أشار إلى المشاعل المعلقة على الجدران وقال :

ـ « أحيانًا يكون الفاتون أغبى مما تصورت .. لماذا يشعل شعبى المشاعل وهم يبصرون فى الظلام ؟ لو فكرت فى هذا لما اجتزت هذا الممر .. أحيانًا يعنى الضوء الأمان ، لكنه فى حالنا هذا يعنى الخطر .. »

ترجل (ويلارد) وراح ينظر فى ذهول إلى الكهل الفارع الواقف أمامى ..

قلت له :

ـ « هل هذا هو شعبك ؟ »

– « شعبى الجديد لقد فنى شعبى بالكامل .. لكنى اتخذت شعبًا جديدًا اغتذى بالأول .. إن كهوف (دراجوسان) مغلقة .. لا تخرج أسرارها لكنها لا ترحب بالفضوليين .. هؤلاء يتم التخلص منهم بلا رحمة .. »

ثم ابتسم وهو يبتعد وقال دون أن ينظر لنا :

– « ليس هناك مخرج من هنا .. لا جدوى من التسلق لأن الفتحات محسوبة بعناية ولا يعرفها سوى أتباعى .. فجربوا ما معكم لو شئتم .. اقتلوا من تريدون .. لكن النهاية محتومة .. سوف يحتشد حولكما أبناء شعبى وينهون فضولكما .. »

نظرت له وهو يبتعد .. فارغًا .. مخيفًا .. شريرًا ..

قلت لـ (ويلارد) :

– « ما رأيك ؟ »

قال وهو يمسك بالحبل :

– « لن ننتظر الموت .. سنجرب من جديد .. وفى المرة القادمة قد نغادر هذه الكهوف .. »

قد نغادر هذه الكهوف !

[تمت]

لم تكن فئران .. كانت تلك (العنكباطات) أو (الفأروتات) تتجمع .. هناك، أبله هنا .. هلموا يا شباب وأحضروا الكثير من المستردة ..

رحت أدير الكشاف بينها فأراها تنظر إلىّ .. أولاً فى رعب .. ثم فى فضول . وأخيرًا فى وقاحة عدوانية واضحة ..

مع خفوت الضوضاء القادمة من أعلى ازداد عددهم ..

لا أرى من منظور (عين الطائر) لكنى أدرك أن دوائر تلو دوائر تحتشد من حولى ..

سوف يخفت الضوء بعد قليل ..

ربما أستطيع أن أزيح بعضها ..

ربما أركل الكثير منها ..

لكن النهاية قادمة ولا ريب .. وهى لعمرى نهاية غريبة بعض الشىء لم أتخيلها فى كل كوابيسى ..

لا تندم على اختيارك الخطأ .. فما كان بوسعك أن تتوقع ما سيحدث .. والذى سقط فكسر رجله هو أنا لا أنت ..

سأكتب هنا قصتى إلى أن يخفت الضوء نهائيًا ..

وعندها يبدأ الحفل ..

[تمت]

كان اللغز محيرًا .. اضطررنا إلى حذف الكثير من الرموز لنحصل على الكلمة النهائية. لن أضعك في تلك المتاهات اللاتينية وسأقدم لك لغزًا يمكننا أنا وأنت فهمه (لذا سوف تجده معاصرًا وشخصيًا أكثر من اللازم) . ابحث عن الأجوبة في هذا الجدول بالطول والعرض والورب (مع اتجاه القراءة العربية) ، واشطب ما تجده من حلول بالقلم. في النهاية تجد ستة أحرف هي الجواب الصحيح لا أعتقد أن هذا اللغز مشكلة بالنسبة لمن قرءوا قصصي :

ن	ة	س	ى	د	و	ا	ف	ا	س		م
و	ى	د	د	هـ	م	ا	م		ت	ى	هـ
س			ا	ن	ل	ى			د	ل	و
ت		م	ج	هـ	ك	ى	ت	و	ك	ا	د
ر	ر	ى	ا	و		س	س	ا		م	ى
ا	ل	ل	س			ا	ن	ى	م	ى	ن
د	ا	ى	ل	ى	ش	ى	ر	ا	م	ا	ى
ى	و	ب	ن	ا	ل	ا	ر	ا	ج	د	ا
م	ا	ر	و	ا	م		ب	هـ	ل	ب	ك
و		ع	هـ	ا		ر	و	ى	ا	ر	ى
س	ز	ى	ج		ا	ى	ل		ن	ا	ن
ت	ر	ى	ن	ى	د	ى			ر	م	ج
ا	ر		س	ا	ث	ا	ض	ر	ا	س	ح
ا	ش	ى	م	ا	ج	ل	ج		ى	ت	ش
س	ى	ب	و	ن	ا	ر	خ	ر	س	و	ا
	ى		ر	و	ج	ا	ف	ل	ب	ك	ن
ا	ل	ا	ب	ا	ك		ب	و	ش	ر	ى

1) الروح عند قدماء المصريين

2) الجرجونة الأولى

3) الجرجونة الثانية

4) إله الشر عند قدماء المصريين

5) منجم فرنسى عالمى

6) عميد كتاب الرعب فى العالم

7) ملحمة بابلية كبرى

8) مصاصة دماء من الأساطير العبرية

9) شخصية مخيفة فى الأساطير الإغريقية هى نصف فتاة نصف أفعى

10) العالم الآخر لدى الفايكنج

11) مبتكر شخصية دراكيولا

12) من شياطين العالم السفلى

13) سحر الأرقام اليهودى

14) مؤلفة فرانكنشتاين

15) لقب أديب إيرلندى ساخر

16) ملحمة لهوميروس

17) مشعوذ شهير

18) مسئول التحنيط عند الفراعنة

19) إله الخصوبة عند الفراعنة

20) لقب كاتب رعب معاصر

21) لقب ممثل رعب شهير من عصر السينما الصامتة

22) جار رفعت إسماعيل

23) شركة بريطانية تخصصت فى أفلام الرعب

24) شركة بريطانية تخصصت فى أفلام الرعب ذات العدة فصول

25) خطيبة رفعت إسماعيل السابقة

26) كاتبة رعب تخصصت فى قصص مصاصى الدماء

27) الهالة المشعة من شخص ما

28) زوجة زيوس فى الأساطير الإغريقية

29) ملكة فرعونية

30) ساحر فرعونى شهير

31) طبيب نازى مجنون

32) شقيق رفعت إسماعيل

33) طائر أسطورى

إذا كنت قد حللت اللغز ، توجه إلى صفحة 252

إذا كنت قد فشلت فيه ـ واعترافك يدل على أنك إنسان أمين ـ توجه إلى صفحة 29

كيف جئت هنا ؟

لم تقدك أية صفحة إلى هنا .. وهذا يعنى أنك تختلس الجولات بين الصفحات ..

لا أمقت شيئًا فى العالم قدرِ مجىء عدم المدعوين إلى أماكن لا تخصهم .. سواء كانوا من رفاقى أم من الذين لا اسم لهم ..

فعد أيها الغريب ..

عد من حيث جئت !

فعلاً لا أستطيع أن أفعل شيئًا كهذا ..

لن أترك تلك الروح الشريرة تقودنى إلى الهاوية ..

تركت البلطة على الأرض وواصلت المسيرة خلفه ..

أعتقد أن هذا كله خداع بصر ..

لن أقتله من أجل عينين تتوهجان فى الظلام ولا من أجل قط لم يفر ..

من يدرى ؟

لربما فر القط منه إلى المكان الذى دست عليه فيه ..

انتقل إلى صفحة 125 إذن

فى اللحظة ذاتها ومن كل الفتحات الجانبية ، اشتعلت النيران !

فرن ! لقد كنت على حق !

لكن هذا مقبول إلى حد ما ، لو لم يبرز شىء من كل فتحة .. شىء له مظهر بشرى لكنه ليس بشريًا على الإطلاق .. من بين النيران تراه وهو يعوى وقد أخرج نصفه العلوى من الفتحة محاولاً أن يقفز إلى الخارج ..

إنه يزأر ويحرك يديه المخلبيتين فى جنون وهو ينظر لنا بالذات ..

كم عدد الفتحات ؟ عشرين ؟ هناك إذن عشرون غولاً كهذا تحاول أن تقفز علينا ، ويبدو أن طريقة النيران المشتعلة هى الطريقة المثلى لجعلها تصحو من سبات طال ..

مسألة وقت لا أكثر ..

فلن يستغرق الأمر أكثر من ثوان حتى يثب لنا أول هذه الغيلان هاربًا من الجحيم .. وعندها سوف يرانا أمامه .. يرانا أمامه بينما الغضب يعميه بسبب كل هذه الحروق ..

عندها ....

صرخ (ويلارد) وهو يتقدم إلى نهاية القاعة :

- « إنها النهاية ! ماذا نفعل ؟ »

كنت أنا أفكر .. من العسير أن تفعل وعشرون غولاً يحاولون التحرر للظفر بك فى قاعة مغلقة ، لكن يجب أن تفعل .. يجب ..

(جيبوراه) .. هذا هو العقاب الذى تلقيناه لأننا قرأنا الكلمات .. (جيبوراه) هى الطبقة الخامسة من شجرة الحياة فى سحر الكابالا Kabala اليهودى .. وكان يرمز لها باللون الأحمر .. إن (جيبوراه) لفظة عبرية معناها (الجبروت) .. الدمار .. الحرب .. الكراهية ..

إن شجرة الحياة تتكون من عشر طبقات .. التماثيل هنا عشرة ..

لكن هذه الطبقة لم تكن مطلقة القوة .. هناك طبقة تسيطر عليها هى الرابعة (شيسيد Chesed) أو (السيد) - ولونه أزرق - وطبقة تعادل شرها هى (تيفريث Tiphereth) أو التوافق .. ولونها وردى ذهبى لأنها ترمز إلى الشمس ..

ونظرت إلى التماثيل المتراصة ..

أعرف أن الجواب هنا .. هذا الساحر أراد أن يتسلى ويختبر علمنا ..

لكن أى تمثال يمكن انتزاعه ؟

صرخ (ويلارد) وهو يتراجع بظهره إلى الوراء :

ـ « (رفعت) .. إنهم سيثبون علينا حالاً ! »

ربما كان الساحر يتحدث عن السيادة على (جيبوراه) أو عن معادلتها .. لا أعرف حقًا .. وربما أنا واهم .. ربما كنت أفكر بتذاك أكثر من اللازم فى محاولة يائسة لرفض فكرة هذه الميتة الشنيعة ..

فكر معى ..

أى تمثال أرفعه أو أحاول زحزحته ؟

لو كنت ترى أن أرفع تمثال السيد الأزرق فلتتوجه إلى صفحة 163
لو كنت ترى أن أرفع تمثال التوازن الذهبي فلتتوجه إلى صفحة 206

نعم .. المرآة التى دخلنا منها كتب عليها MORPHEA وهى لفظة لاتينية مشتقة من (مورفيوس) الذى هو إله الأحلام فى تحولات (أوفيد Ovid) ـ ومنها اشتق اسم (المورفين) ـ فهل هذا حلم ؟

قررت أن أجازف وتمسكت بالحبل وصرخت :

ـ « مورفيـــــــا ! »

لم يحدث شىء .. فقط اضطرب المهاجمون لصرختى المفاجئة ..

ـ « مورفيـــــــا ! »

قال (ويلارد) :

- « اهدأ يا (رفعت) .. تراك جننت ؟ »

ثم أعدت التفكير من جديد .. كل شىء هنا مقلوب .. هل يمكن أن يكون هذا الاحتمال صحيحًا ؟ كثير من التعويذات فى الأساطير لا تعمل إلا لو قرئت بالمقلوب ..

من جديد صحت :

- « إيهبـــــــروم ! »

طبعًا نطقتها حسب الهجاء اللاتينى ، وإلا لنطقتها (إيفروم) ..

فى اللحظة التالية حدثت أشياء عجيبة ..

فجأة لم نعد على الجسر .. لا حمم .. لا قبائل تنوى التهامنا .. لا شىء ..

وعرفت بالفعل أن هذه كانت هلوسة بصرية قاسية . بصرية ؟ بل وحسية كذلك .. وإننى لأتساءل .. كيف تمشى فوق الجسر وتراه وتلمسه ثم يتضح أنها هلوسة ؟ ربما كما تلسعك النار أثناء الحلم ..

لم يكن هناك سبيل للتحرر منها إلا أن تذكر لفظة (مورفيا) مقلوبة ..

كنا الآن وسط مقبرة عتيقة .. حولنا شواهد قبور لا حصر لها ، لكنها لا تنتمى لديانة معينة .. كيف عرفنا أنها قبور؟ لأنه لا توجد أماكن كثيرة فى العالم تحتوى حفرًا وفوق كل حفرة لوحة رخامية عليها كتابة ..

هذه حروف لم أرها قط .. ليست سلافية ولا عبرية ولا ...

هناك كنت أرى تمثالاً عملاقًا لتنين يبدو كأنه النصب التذكارى لهذه المقبرة .. (مقبرة التنين المجهول) .. لا بد أنها تحمل هذا الاسم ..

قال (ويلارد) وهو يتحسس جسده :

- « لم نسقط فى الهاوية ! »

ـ « بالضبط .. »

ـ « وهذه مقبرة .. »

ـ « أنت دقيق الملاحظة فعلاً .. »

ساد الصمت .. أنا أعرف هذا الصمت جيدًا وقد ألفته .. إنه الصمت الذى يسبق ..

فى اللحظة التالية انفتحت الأرض ووثبت منها مئات الأيدى المفتوحة .. أيد تبحث عن أى شىء تمسك به .. أعشاب حية مخيفة تحاول أن تمسك بنا ..

لقد صار هذا المشهد كلاسيكيًا فى أفلام الرعب منذ وضع على ملصق فيلم (ليلة الموتى الأحياء) فى السبعينات ..

لكن هذا ليس ملصقًا !!

صرخت فى (ويلارد) :

ـ « فلنبتعد عن هنا !! »

قال وهو يتواثب بين الأيدى :

ـ « لقد صحا الموتى ! »

ـ « لا تكن أحمق ! (دراجوسان) لا يقدر .. لا أحد يقدر .. إنه هذا على الأرجح شعب يعيش تحت الأرض كالطفيليات .. »

وفى هذه اللحظة صرخ إذ تشبثت يد بكاحله ..

ـ « (رفعت) أنا .. »

ثم غاص لأسفل .. بنعومة أحسده عليها .. قبل أن أمد له يدًا ..

أخرجت نفسى بكثير من العسر من بين هذه الأيدى .. وقفت فى مكان صلب الأرض نوعًا .. لن أتخلى عن (ويلارد) لكن أتمنى لو عرفت كيف ..

هذه الأيدى تخرج من الأرض وتعود لها بطريقة ميكانيكية .. وأخيرًا بدأت حركتها تهدأ وغاص أكثرها ..

وقفت أدرس الموقف ....

من الواضح أن هناك عالميًا (لافكرافتيًا) كاملاً تحت هذه القبور .. و(ويلارد) هناك الآن .. لكن هل يوجد مدخل آخر ؟

رحت أدور حول المقبرة ثم توقفت عند تمثال التنين إياه ..

بالفعل هناك ما يشبه البئر .. كـان يقعى على خلفيتيـه وينظر للأمام عتأهبًا للهجوم .. بيـن اليدين كـان هـذا البئر .. والبئر لـه درجات تهبط لأسفل ..

فكرت بعض الوقت ..

ما سأراه تحت عالم لا قبل لى به .. لا أعرف كنهه ..

لكن هل أجسر كذلك على ترك (ويلارد) هنا والرحيل ؟

ساعدنى فى اتخاذ قرار ..

لو كنت ترى أن أنزل فعليك بصفحة 213

لو كنت ترى أن أرحل من هنا فعليك بصفحة 164

قائمة الحروف الهيروغليفية وما يقابلها باللاتينية(ربما تفيد هذه الأشياء يومًا ما) ..

A B C D E F G H

K L M N O P Q R S T

J X Y Z

ابتعدت مع (ويلارد) بضع خطوات حتى صار الفتى والفتاة خلفنا .. وقال لى همسًا :

ـ « لا أعرف ما يعنيه هذا لكن هذين كاذبان .. »

لزمت الصمت بعض الوقت حتى استوعب ما قال ، ثم هززت رأسى بمعنى أن يواصل الكلام ، فاستطرد :

ـ « قالا إنهما جاءا عبر الممر الأيمن .. معنى هذا أنهما رأيا نهر الحمم .. لكن الفتى قد دهش لرؤية هذا النهر .. ومعنى هذا أنه لم يره من قبل .. »

ـ « ولماذا يكذب فى رأيك ؟ »

ـ « لا أعرف .. لكنه ليس كما يدعى .. »

قلت فى شرود :

ـ « لن تصدق ما أخبرك به ، لكن الفتاة تحولت أمام عينى إلى أسد وكادت تفتك بى لولا نبوءة العراف .. »

ـ « أنت تخرف يا (رفعت) .. إنه نقص الأكسجين .. »

ـ « ربما .. كنت أتمنى لو كنت معى لتحكم .. على كل حال أعتقد أنهما خطر داهم .. كان علينا أن نرتاب فى شأنهما منذ البداية .. »

تذكرت شيئًا آخر فأضفت :

ـ « لا يبدو أنهما يعانيان الجوع أو الظمأ .. هل رأيت أحدهما يطلب جرعة ماء أو قضمة بسكويت ؟ لاحظ أنهما لا يحملان أية مؤن .. »

ـ « والحل ؟ »

فكرت قليلاً .. نعم إن الافتراق عنهما أمر صائب ، لكن لا أعرف كيف .. لا يجب أن نفترق عنهما فقط .. بل يجب أن يصيرا عاجزين عن العثور علينا ..

هكذا عدنا إلى الشابين الواقفين يتهامسان .. لا بد أن الفتى يقول لها : هذان كاذبان .. يجب أن نفترق عنهما !

قلت لهما بصوت عال :

ـ « نحن نضيع الكثير من الوقت فى التحرك كمجموعة واحدة .. أرى أن ننفصل إلى مجموعتين .. »

سألنى الفتى فى ريبة :

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ـ « سأذهب أنا و(ويلارد) لاستكشاف منطقة الحمم تلك ، بينما تقوم أنت و(إلسا) بتفتيش مجموعة البيوت هذه .. ولسوف نلتقى هنا بعد ثلاث ساعات .. كم ساعتك الآن ؟ »

وقطعت أى جدل لديه بأن رحت أضبط ساعتى على ساعته ..

هكذا لم يجد حلاً إلا أن يلوح بذراعه مودعًا ، بينما أنا و(ويلارد) نتجه نحو نهاية صف البيوت ..

همس لى (ويلارد) ونحن لا ننظر للوراء :

ـ « هل تذهب إلى منطقة الحمم هذه ؟ »

ـ « ليس الآن .. سوف نقصد أى مكان آخر فى حالة ما إذا أرادا متابعتنا .. بعد هذا لا بد من استكشاف منطقة حممك هذه .. كما فهمت هى تقود إلى الممر الأيمن . والممر الأيمن يقود إلى الباب الذى دخلنا منه .. بمعنى آخر هذا هو سبيل الخروج الذى أعرفه .. »

ونظرت للوراء فوجدتهما ما زالا ينظران لنا ، لكنهما صارا نقطتين فى الأفق ..

كان صف البيوت البدائية ممتدًا إلى ما لا نهاية .. وخطر لى أنه ربما كانت هناك قصة ما فى كل بيت منها ، لكن لا يمكن عمليًا دخول كل بيت منها ، فلسنا فى حرب مدن يجب معها تطهير كل بيت من هذه ..

عند نهاية الممر كان هناك منحنى يتجه إلى اليمين .. منحنى ضيق .. كل شىء هنا يذكرك بالطرق الضيقة المتعرجة فى قريتك لو كانت عندك واحدة .. لن أندهش لو وجدت مجموعة من الفلاحين يجلسون على (مصطبة) خارج الدار يشربون الشاى ، ويصيحون : اتفضل يا عرب ..

قريتى ! لكم أتوق إلى رؤيتها من جديد لو خرجت من هنا ..

على اليسار كان هناك منحدر يقود إلى شىء ما تحت مستوى النظر ، إلى اليمين كانت مجموعة من الصخور البركانية ..

قال (ويلارد) لاهثًا :

ـ « فى هذا الاتجاه تجد بين الصخور ذلك الأخدود الذى تجرى فيه الحمم .. »

ـ « إذن نجرب الناحية الأخرى .. لو كان ظنى صادقًا فهما سيتبعاننا إلى حيث الحمم ، ليقذفانا فيها .. »

ودنونا أكثر من قمة المنحدر .. فانكشف المشهد بالطريقة التى يسميها السينمائيون (بانورامية) .. فجأة سمعنا من يتكلم جوارنا .. لم نحتج لجهد كبير كى نعرف أنه العراف ..

بصوت كأنه بالوعة الحمام إذا انتزعت السدادة ، وبنبرات هادئة واثقة ، وبلغة إنجليزية شكسبيرية عتيقة قال :

ـ « بالآخرين الذين سبقوك لا تلحق .. وللمجازفين لا تنضم .. عندما يزأر الأسد لا تعطه ظهرك ، وإذا فغر فاه فلتقتحم رأسك فيه .. عند لقاء (دراجوسان) ستعرف السر .. (نافاح) .. (نافاح) .. »

وفى اللحظة التالية فعل ما اعتدته .. توارى فى الظلام فلم يعد له أثر .. قلت له فى سرى : قديمة .. كنت طيلة حياتى أمقت النبوءات البائتة ..

تعال إلى صفحة 57 لترى ما رأيناه

إننى أحترق !

ألا ترى هذا ؟ أحترق !!!!

لماذا لا تذهب لصفحة 51 بسرعة ؟

لم يحدث شىء ..

بالفعل لم يحدث شىء ..

لقد استدار الرجل نحوى وقال من بين أسنانه :

ـ « ليست هذه هى طريقة قتل (دراجوسان) أيها الفانى .. لقد جرب هذا قبلك من هم أقوى وأبرع .. »

ثم انقض على (ويلارد) وواصل ما كان يقوم به ..

لقد كان ينقل بلسانه تلك البذرة إلى داخله .. وكان (ويلارد) يصرخ بلا انقطاع ..

قررت أن أسدد طعنة أخيرة ....

هذه المرة كان رد فعله أقوى بعض الشىء .. لقد استدار ووجه لى صفعة .. صفعة من يد هذا العجوز المسن لكنها أطارت بى بضعة أمتار إلى الوراء ..

ارتطم رأسى بالجدار فسقطت ..

أعتقد أننى فقدت الوعى بعض الوقت ..

وحين فتحت عينى ، رأيت (ويلارد) واقفًا وعلى الأرض جثة (دراجوسان) أو السير (ماكتاير) ..

نهضت نحوه وأنا أترنح .. أمشى وسط بركة من الدم أحدثها الجرح الذى سببته للساحر العجوز ..

ـ « هل أنت بخير ؟ »

كان يمسك برأسه ويترنح ..

ـ « أقول : هل أنت بخير ؟ »

قال وهو يهز رأسه :

ـ « بالطبع لا .. ماذا ترى يا أحمق ؟ »

نظرت إلى الأرض إلى حيث رقد (دراجوسان) مفتوح العينين شاخص البصر .. وفكرت مليًا ..

لا .. سأفترض أن منطق الأشياء هو الصحيح ..

هذا رجل مسن تلقى طعنة قاتلة .. هذه الأشياء تحدث .. لا بد من أن يموت .. لماذا لا تقبل هذه الحقيقة وتكف عن التفكير فى شىء آخر ؟

لماذا لا تقبل هذا ولا تفكر فى أنه بالفعل نقل البذرة لـ (ويلارد) ؟

لماذا لا تتجاهل الخاطر المرعب : أن (ويلارد) صار هو (دراجوسان) ؟

لماذا لا تتناسى احتمال أن تكون حبيسًا فى هذه القاعة مع ساحر عمره عدة قرون ؟

قلت لـ (ويلارد) وأنا أخشى الاقتراب منه أكثر :

ـ « أعتقد أن علينا البحث عن طريقة لمغادرة هذه القاعة .. »

قال وهو يلتقط شيئًا من على الأرض :

ـ « أعتقد أن الوقت قد حان لهذا .. »

ثم أطرق مفكرًا ..

كنت أنا أتذرع بالأمل ..

إن إيماءاته هى هى .. طريقة تفكيره هى هى .. ربما كان هو رباه ! فليكن هو !

قال لى :

ـ « تذكر كلمات الرجل .. هناك ممر سرى بين هذه القاعة وقصره .. »

ـ « وأين هذا القصر ؟ »

ـ « لقد صار خرائب .. إن بلدية القرية تقع فى ذلك الموضع بالضبط .. لكن لبناية البلدية قبوًا ، وأنا أميل إلى الظن بأن هذا هو الطرف الآخر للممر .. »

هذا جميل .. لا يخلو كلامه من منطق .. لربما كان هو فعلاً ..

قلت له :

ـ « والطرف الآخر ؟ حسبت هذا هو الأهم .. »

راح يتأمل القاعة بعينيه الزائغتين .. ثم اتجه إلى أحد الرفوف .. انتزع كتاب (نيكرونيمكون) الذى كان يطالعه منذ قليل ، ومد يده مبسوطة إلى آخرها فى الفتحة التى تركها الكتاب ، وضغط ..

عندها حدث ما كنت أتوقعه ..

لقد انفتحت الأرض ببطء شديد ..

كأنها بالوعة كانت مغطاة ثم انكشف غطاؤها ..

ثمة تجويف يقود لأسفل .. وقد انفتح لدى الضغط على رافعة ما ..

قال لى :

- « ما رأيك ؟ »

لم أرد وأنا أرمق هذا المشهد الرهيب ..

- « تقدمنى .. »

نظرت له ثم قلت وأنا أتراجع قليلاً :

- « بل تقدمنى أنت .. »

لم أرد أن أترك له ظهرى .. سوف أحتاج إلى فترة أطول من اللازم كى أثق به من جديد .. وإلى أن يتم ذلك لن أعطيه ظهرى ولن أكون الأول أبدًا ..

هكذا مد يده ليخرج الكشاف من جيبه وانحدر فى الفتحة ..

نظرت حولى ثم اتجهت لأنظر إليه .. كان الآن تحت مستوى قدمى والكشاف فى يده وهو يهبط درجات حجرية غير مريحة .. تذكرك بمنازلنا العتيقة الآيلة للسقوط ..

بقعة النور تهبط لأسفل .. وأنا أقف وحدى وسط القاعة .. وسط مكتبة الساحر التى كانت عرينًا للنكرومانسى .. هناك جثة ساحر وأشلاء و ... و ...

لكنى برغم هذا وقفت أفكر ..

وحدى فى نفق مظلم مع (ويلارد) .. هل هو فعلاً (ويلارد)؟

وحدى فى نفق مظلم مع ابن (دراجوسان) الذى عاد للعالم ..

ماذا يمكن أن يحدث ؟

كيف عرف مكان الفتحة بهذه السهولة ؟ بالفراسة ؟ ما هذه العبقرية التى هبطت عليه فجأة ، بينما كان معدل ذكائه السابق لا يتفوق على البراغيث ؟

هل الحظ أم هو فعلاً صار يعرف مكان الفتحة ؟!

لماذا ؟ لأنه (دراجوسان) ذاته ..

هل أتبعه ؟

هذا هو التفاعل الذى يسمونه (تحاشى ضد تحاشى avoidance Vs avoidance) فى علم النفس .. كلا الأمرين كريه .. لكن لا بد من اختيار ..

ما رأيك أنت ؟

ساعدنى من فضلك ..

وإلا فلماذا صحبتك معى فى هذه الكهوف ؟

لو كنت ترى أن أتبعه فعليك بصفحة 17

لو كنت ترى أن أبقى هنا فعليك بصفحة 249

ترى أن أبقى ؟

لا بأس ..

سأنتظر قليلاً حتى يرحل ثم أبحث عن فتحة أخرى .. أو ربما أجرب حظى فى الفتحة ذاتها آملاً ألا ألقاه هناك ..

هكذا اتجهت إلى المنضدة التى جلس عليها (دراجوسان) منذ دقائق ، وجلست .. فعلاً مقعد يناسب السحرة ..

ما زالت الشمعة تتوهج ، وعلى الأوراق التى كان يدونها رموز لاتينية وأشكال (عفاريتى) من التى تراها فى كل كتب سحر القرون الوسطى .. مازلت بحاجة إلى أن أعيش أطول كى ألقى الساحر الغربى الذى لا يجيد اللاتينية ، وقديمًا قالوا : اقتل كل شخص يجيد اللاتينية بطلاقة ما لم يكن هو القس الكاثوليكى ذاته !

لن يتضايق الأخ (دراجوسان) لو استعرت صفحات من مذكراته لأدون عليها ما مر بى فى هذه المغامرة ..

لقد دخلت أماكن عديدة حتى اختلطت على الأمور .. ولسوف تكون الكتابة خير شىء ينسينى القلق إلى أن تمر فترة كافية على رحيل (ويلارد) ..

هكذا رحت أكتب ..

وأكتب ..

* * *

رباه !!

لو كانت لنا عيون فى ظهورنا لتجنبنا الكثير من المصائب ..

لماذا لم أر ما يحدث خلفى ؟

لماذا لم أر جثة الساحر تحرك قدمها ؟ لماذا لم أر تلك الأنامل تنقبض ثم تنبسط ؟ لماذا لم أر الرأس يرتفع ؟

لماذا لم أره ينظر لظهرى ؟

لماذا لم أر بالذات تلك النظرة ؟

وحين شعرت باليد المعروقة على كتفى عرفت ما يحدث ..

نظرت لأعلى فوجدته ينظر إلى ..

على وجهه تلك البسمة الكريهة ..

صحت فى رعب :

ـ « أنت ؟! »

قال فى رفق :

ـ « مات (دراجوسان) فعلاً لكنى ابنه .. لماذا افترضت أننى يجب أن آتى العالم طفلاً يبكى ؟ منذ دقائق كنت صاحبك والآن أنا (دراجوسان) ! »

قلت والورق يسقط من يدى :

ـ « ولكن .. من الذى اجتاز النفق ؟ »

قال باسمًا ويده تضغط على كتفى بعنف :

ـ « حينما انتقلت البذرة لى ، صرت أنا (دراجوسان) وسقطت أرضًا إلى أن أستعيد صوابى .. من كان (دراجوسان) صار هو صاحبك .. لكنه مجرد صورة طيفية خادعة .. فلو اقتفيت أثره داخل النفق لرأيته يتلاشى .. إنه لا شىء .. مجرد وهم .. »

ثم أردف :

ـ « لهذا عرف سر النفق وكان عليك أن تتبعه .. كان سيتلاشى بعد قليل .. لكن النفق كان سيقودك إلى الحرية .. لقد أضعت الفرصة الأخيرة للنجاة ! »

لبددب .. لب لب لب .. دبب دبب .. دب .. !

وفى هذه اللحظة شعرت بذلك الألم العنيف فى صدرى .. أعرف هذه القبضة العاصرة التى تمنعك من الشهيق .. لا أحتاج إلى تخطيط قلب كى ..

لقد تحمل هذا القلب كثيرًا جدًا ، لكن هذه الصدمة الأخيرة كانت هى الـ ....

....

[تمـــــت]

الآن ظفرنا بالكلمة .. المشكلة هنا أن هذا أضاع من وقتنا الكثير .. ترى كم من الوقت يمكن أن يظل هذا الكشاف يؤدى عمله ؟ لا أحب أن نجد أننا في الظلام الآن .. في هذا المكان العجيب ..

لكن المرح لم ينته بعد .. إن هذا الأخ الذى يمارس التسلية علينا ، والذى ابتكر هذا اللغز يطالبنا بما هو أكثر :

أ 12	ذ 36	ض 6	ق 90	و 31
ب 14	ر 1	ط 42	ك 98	ى 59
ج 25	ز 55	ظ 88	ل 76	
ح 3	س 6	ع 33	م 54	
خ 4	ش 7	غ 67	ن 5	
د 20	ص 99	ف 8	ه 23	

إنه يطالبنا بجمع الأرقام الموجودة أمام كل حرف من الكلمة .. الرقم الذى سنظفر به سوف نضيف إليه 47 ..

هذا مسل .. كنا في طفولتنا نقضى الوقت في رمضان بانتظار آذان المغرب ، بين التسلل إلى المطبخ لمعرفة ما ينتظرنا من متع وحشية حين يتعالى صوت المؤذن ، وبين محاولة فك هذه

الألغاز العسيرة .. ربما لم تكن عسيرة لكن نقص الجلوكوز الواصل إلى المخ كان يجعلها كذلك ..

والآن كن صريحًا معي : هل حللت اللغز فعلاً أم أتيت هنا بطريق الصدفة أو(الفهلوة) المعتادة؟ هذا اختبار يستبعد به (دراجوسان) عنصر الصدفة ..

إذا كنت قد حللت اللغز، فلتتوجه إلى الصفحة التي يماثل رقمها الحل..

إذا كنت قد جئت هنا بالصدفة وتريد تجربة أي رقم فلتتجه إلى صفحة 103

هكذا اتخذت الحل الأول .. لم يرق هذا لـ (ويلارد) الذى هتف فى غيظ بعينين بلون الدم :

ـ « أنا لم أنل كفايتى بعد .. »

قلت فى برود :

ـ « وأنا لم أنل أى شىء بعد .. »

وأشرت للفتاة إلى الفراش ، وقلت لها إن بوسعها ـ لو كانت لا ترغب فى النوم ـ أن تغمض عينيها فحسب لأن وقتًا عصيبًا ينتظرنا ..

ثم بحثت عن كيس النوم ففرشته على الأرض ، ونزعت عويناتى فوضعتها فوق المنضدة .. ولم أنس وأنا أنثنى على نفسى أن أسأل (ويلارد) والفتى :

ـ « أين ستنتظران ؟ »

ـ « لا تشغل بالك بنا .. فلنذهب نحن إلى الجحيم .. »

كدت أرد ردًا لاذعًا لكنى لم أجده .. كنت على وشك العثور عليه حين ...... انزلق وعيى فى عالم الظلام ..

نوم بلا أحلام .. أكاد أرى بالون الأحلام يخرج منى ، وقد ثبت عليه لوحان متقاطعان من الخشب كما يحدث فى القصص المصورة ..

* * *

صحوت من النوم مذعورًا شاعرًا أن كل قطعة من عظامى قد تم سحقها وإلقاؤها فوق جبل بعيد ، فى أطراف العالم ..

وجدت نفسى وحدى .. أين الآخرون ؟ أصابنى ذلك الهلع الأولى الذى يشعر به أى طفل يجد نفسه وحيدًا .. لا أحد فى الفراش ..

نهضت ووقفت على باب الكوخ أرمق الساحة الخالية التى يضيئها اللون الأحمر .. سوف يكون جميلاً أن أجد نفسى وحدى وأفكر فى مشكلة العودة ..

فجأة رأيت أن الفتاة تقف على مسافة بضعة أمتار وترمق الأفق .. شعرت براحة لا شك فيها برغم أن هذه الطفلة التعسة لا تستطيع حمايتى من صرصور .. المفترض أن أحميها أنا !

دنوت منها وتنحنحت فالتفتت لى خائفة ، ولعلها خافت أن أصفعها ثانية .. قلت لها :

ـ « أين هما ؟ »

ـ « لا أعرف .. لقد غفوت وصحوت لأجد أنهما ليسا معنا . »

أطلقت تنهيدة عميقة وقلت وأنا أتثاءب :

ـ « الغباء التقليدى المعتاد .. سوف يموتان على الأرجح .. »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « القصة دائمًا هكذا .. »

فجأة رأيتها تنظر إلى ما وراء ظهرى وقد اتسعت عيناها هلعًا .. فنظرت للوراء بدورى ..

كان ذلك الرجل الذى رأيته من قبل الذى يقف فى الظلال فلا ترى وجهه أبدًا ..

بصوت كأنه بالوعة الحمام إذا انتزعت السدادة ، وبنبرات هادئة واثقة ، وبلغة إنجليزية شكسبيرية عتيقة قال :

- « بالآخرين الذين سبقوك لا تلحق .. وللمجازفين لا تنضم .. عندما يزأر الأسد لا تعطه ظهرك ، وإذا فغر فاه فلتقتحم رأسك فيه .. عند لقاء (دراجوسان) ستعرف السر .. (نافاح) .. (نافاح) .. »

أرجو أن تتجه إلى صفحة 161 لتدون هذه التعويذة .. لا تنس أن تدون كل تعويذة سمعتها .. هذا قد يفيد ..

وفى اللحظة التالية فعل ما اعتدته .. توارى فى الظلام فلم يعد له أثر ..

صرخت الفتاة فى هستيريا :

- « من هذا ؟ ماذا يريد ؟ »

قلت لها وأنا أعود لوقفتى المعتادة :

- « لا شىء .. إنه يمارس دور نشرة تعليمات الدواء التى تجدينها فى كل علبة .. يحفظ بعيدًا عن الأطفال .. تأثيره فى حالات الحمل والولادة لم تتم دراسته جيدًا .. »

ثم أخرجت القلم ورحت أدون تلك النبوءة .. طبعًا هو قال (نافاه) لكنى أميل إلى كتابتها (نافاح) لأن لها رنينًا عبريًا كابوسيًا لا بأس به .. لو كنت خبيرًا بسحر (الكابالا) اليهودى لقلت إن (نافاح) هذه لها أهمية خاصة عندهم ..

قالت الفتاة :

- « وما معنى ما قال ؟ »

- « لم أفهم كل شىء .. لا تعتقدى أنه سيقول كلمة واحدة واضحة لكنه على الأقل يطالبنا بأن نبقى هنا .. »

- « وهل تثق به ؟ »

- « حتى هذه اللحظة برهن على أنه ليس (دراجوسان) نفسه .. لقد كانت نصائحه مفيدة لى وصاحبى حتى هذه اللحظة .. »

- « قال شيئًا عن أسد .. »

- « لا تحسبى أنه يتكلم عن أسد فعلاً .. هذا مجاز .. الأسد رمز مهم فى عالم الأساطير والسحر و ..... »

هنا رأيتها تنظر لأعلى فى هلع .. لقد صارت عادة لديها ..

نظرت إلى حيث نظرت فرأيت أسدًا ..

تعال إلى صفحة 23 لتعرف ما حدث ..

كان الممر الأيمن ضيقًا ..

لكنى سمعت (ويلارد) يغمغم وهو يتقدم ..

قلت له :

ـ « عجائب عظيمة فعلاً .. إن أنفاسى تتقطع انبهارًا ! »

فنحن لم نر حتى هذه اللحظة إلا جدارًا صخريًا والكثير جدًا من الفئران ، لكنى سمعته مستمرًا فى الهمهمة ..

عند نهاية الممر كان هناك مفرق لليمين وآخر إلى اليسار ..

جميل .. أنا أحب هذا .. المتاهة الحقيقية تبدأ وبعد مفرقين كهذين يسهل أن نموت جوعًا ويجدوا عظامنا بعد قرون ..

لهذا أخرجت قطعة الطبشور ورسمت أسهمًا تشير إلى مسارنا ..

قلت له وأنا أراه يحدق فى كل شىء كأبله :

ـ « ماذا دهاك ؟ »

قال فى شىء من الدهشة :

ـ « أشعر أن .. لكن لا عليك .. إن الكهوف محيرة دومًا .. »

ـ « حسن .. طبقًا لخبرتك المذهلة .. أى مفرق نختار من هذين ؟ »

فكر قليلاً ثم قال وقد شحب وجهه :

ـ « المفترض أن يكون هنا منحدر يقود لنهر من الحمم .. هذا الجزء لم أره قط .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ نحن لم نتوغل إلى درجة أن نضل الطريق .. »

ـ « هذا ما أعنيه ! لقد تغيرت معالم الكهف !! »

يا للغباء !

نحن لم نبدأ بعد وهو يرى أن الكهف غير معالمه .. لربما ألصق شاربًا وثبت لحية مستعارة .. إن الكهوف تهوى هذه الألعاب السخيفة كما تعلم ..

عدت أسأله فى شك :

ـ « كان هناك نهر من حمم ، وبرغم هذا تقول إن التجربة كانت ممتعة ؟ »

ـ « لم أقل إنها ممتعة .. قلت إنها مثيرة .. هناك فارق كبير بين اللفظين .. كان هناك جسر من الحبال يسمح لك بالمشى فوقه معلقًا بينما تلك الحمم تغلى من تحتك .. وفى النهاية تصل إلى عالم المرآة .. »

ـ « متأكد من أنك لم تكن تطالع (أليس فى بلاد العجائب)؟ »

ـ « متأكد .. لكن ما قيمة هذا ؟ »

ثم هز كتفيه وأردف :

ـ « ما من سبيل للبرهنة على كلامى .. »

قلت له :

ـ « إذن يجب أن نقرر .. هل المفرق الأيمن أم الأيسر ؟ »

قال لى فى حيرة :

ـ « لا أدرى .. اختر أنت .. »

هكذا قررت أن أتخذ قرارًا حاسمًا :

لو كنت تقرأ هذه الكلمات بعد العاشرة مساء فعليك بالمفرق الأيمن .. اتجه إلى صفحة 150

لو كنت تقرؤها قبل العاشرة مساء فعليك بالمفرق الأيسر .. اتجه إلى صفحة 196

إن الخاتم معى .. الخاتم معى !!!

لقد صرخ (دراجوسان) لكنى لم أتبين ما حدث على الإطلاق .. فجأة شعرت بأن المكان يهتز وأن الصخور تهوى من عل ..

(دراجوسان) يصرخ ..

والصخور تهوى ..

والأرض تنزلق من تحت قدمى ..

ثمة حفرة عميقة تتسع فى كل لحظة ..

وفى النهاية شعرت بها تنغلق ومعها ساد الظلام ..

أفتح عينى لأجد أننى فى مرج جميل يبدو مألوفًا .. أنا وعلى بعد مترين منى يرقد (ويلارد) .. أنهض فينهض .. ونتبادل النظرات ..

تحسس رأسه وقال :

ـ « لا أعرف ما حدث .. »

قلت وأنا أنظر إلى المرج العذب المسترخى فى ضوء شمس الظهيرة :

ـ « أعتقد أننا نجونا .. »

ـ « وما تفسير نجاتنا هذه ؟ آخر ما أذكره أن (دراجوسان) كان يحاول الفتك بى .. كان يحاول أن يتبنانى بالقوة ! »

قلت :

ـ « وآخر ما أذكره أننى سددت له طعنة نجلاء .. »

ثم نظرت إلى الكلأ بجوارى .. هذا الشىء المستدير .. الخاتم الذى كتب عليه (عشتار) .. هل لهذا علاقة بما حدث ؟ هل الطريقة لقتل (دراجوسان) هى أن يطعنه رجل يحمل خاتم (عشتار) ؟

ونظرت إلى (ويلارد) ونظر لى ..

أين نحن ؟ لا أعرف .. لكننا خارج الكهف ....

قال لى وهو ينهض :

ـ « هل تعرف ما أفكر فيه ؟ لعل هذا كان حلمًا جماعيًا .. »

ـ « لماذا ؟ »

نظر إلى ساعته وقال :

ـ « تاريخ اليوم .. إننا ما زلنا نناقش احتمالات دخول الكهف ! هل تذكر ؟ كنا جالسين فى هذا المرج نتكلم .. وكنت أنت غير مقتنع .. »

هنا فقط تذكرت أين رأيت هذا العشب من قبل ..

ـ « ثم ؟ »

ـ « ثم غرقنا فى النوم .. وأثناء نومنا حلمنا بهذا كله .. »

رفعت الخاتم لأراه بوضوح .. هذه من أحلام الشعراء الإنجليز التى يحلم فيها المرء بالفردوس ويصحو ليجد وردة معه فى الفراش ..

انتقل إلى صفحة 151

إذن اخترت الصندوق الأول .. هذا يجعل لدينا اثنين من المتهورين ..

قال لى (ويلارد) فى ضيق وهو يتراجع قليلاً :

ـ « وماذا إذا كنت مخطئًا ؟ »

ـ « عندها لن نجد الوقت لنندم .. الرجل قال إن الصندوق الخطأ به شيطان العذاب الحبيس .. هذا يذكرنى بصندوق (بندورا) الشهير .. ترى أى هول ينتظرنا لو كنا مخطئين ؟ فقط حاول أن تقتل أحد تلك الأشياء الفارة لنعرف كنهها »

ومددت يدى أعالج الغطاء الخشبى ..

إنه يستجيب .. ثمة شىء وثب فى وجهى وراح يركض مبتعدًا .. لكن (ويلارد) كان متحفزًا ، فوثب جانبًا ثم سدد ركلة سديدة فى ضوء الكشاف ..

فريشششششك !

كان هذا الصوت المقزز الذى يوحى بتفجر عصارة ما .. هذا شىء يبدو كعنكبوت ويجرى كعنكبوت ويحدث صوتًا كعنكبوت يتهشم .. لهذا عرفت أن (ويلارد) سيهتف فى اشمئزاز وهو يتفحصه :

ـ « هذا ليس عنكبوتًا .. »

ـ « توقعت هذا من اللحظة الأولى .. إنها قاعدة (كل ما يبدو كذلك ليس كذلك) .. »

ـ « إنه .. إنه .. لا أعرف ما هو .. »

ـ « يا لك من أحمق ! »

وكدت أنهض لأرى بنفسى لولا أن ركض شىء من هذه الأشياء على كمى ، فنهضت أمارس رد الفعل الهستيرى الشهير ، أنفض كمى بعنف وأتلوى .. أخيرًا سقط على الأرض وهرسته بحذائى ..

الآن أتفحصه فى اهتمام على ضوء الكشاف ..

حقًا ليس عنكبوتًا على الإطلاق .. إنه أقرب إلى فأر صغير لكنه فأر يتمتع بعدد من الأقدام أكثر من اللازم ، دعك من الجناحين الغشائيين المفتوحين .. كما أنه بلا رأس .. له فم فى منتصف صدره بالضبط ..

شعرت بالقشعريرة تزحف على ظهرى .. هذا مخلوق مستحيل .. يجمع بين صفات الوطواط والفأر والعنكبوت .. هذا (عنكباط) أو (فأروت) لو شئنا الدقة اللغوية .. منذ متى ظل هذا القبو مغلقًا ؟ مهما طالت تلك الفترة فلن تسمح بحدوث طفرات بيولوجية تؤدى إلى هذا .. هذه الأمور تحتاج إلى ملايين السنين ..

توكلت على الله وواصلت فتح الصندوق .. تواثب اثنان أو ثلاثة من هذه الأشياء .. على الأقل هى لا تلدغ أو تعض ..

أخيرًا يمكننى أن أرى الجسد المسجى بالداخل .. هذا تابوت فعلاً أو كان كذا .. لأن الجسد لم يعد جسدًا .. لقد تحول إلى كتلة متلاحمة من هذه المخلوقات .. إنها آكلة جيف إذن .. لا هى لا تأكل الجيف .. لا بد أن هذا الجسد هنا من مئات السنين ..

ونهضت مشمئزًا مبتعدًا بينما راح الصندوق يفور كأنه البركان مخرجًا كل ما فيه من هذه الأشياء ..

صاح (ويلارد) وهو يتراجع للوراء :

ـ « انتهى الأمر ! هذا هو الاختيار الخطأ !! »

الحقيقة أننى بدأت أعتقد هذا .. لكنى صحت فيه وأنا أبتعد :

ـ « لن نعرف هذا إلا إذا مزقتنا هذه الأشياء ! »

كانت تركض فى كل صوب .. ترتطم بأقدامنا .. تتسلقها .. بعضها كان يحلق فى الهواء .. وكانت تصدر أصواتًا شنيعة ..

كنا نتلوى ونحاول الفرار .. ولم ندر ما يحدث فى الصندوق فى هذا الوقت بالذات ..

لم لا تذهب لصفحة 12 كي ترى ما يحدث ؟

شاعرًا بالبلاهة انتزعت الدرع الصغير ، وطوحت به فى الهواء .. كلونج كلانج كلانج سقط على الأرض محدثًا ضوضاء كادت تسقط الكهف على رءوسنا .. أخيرًا استقر فرأيت النقوش لأسفل ..

تبادلت النظرات مع (ويلارد) .. علينا أن نحرق الصندوق الآخر إذن .. قال لى وهو يرتجف :

ـ « هل نصدق هذه الخرافات ؟ »

ـ « ليس لدينا الخيار .. علينا أن نلعب بقواعد المكان .. »

« نشعل النار ونحن فى قبو ضيق بلا نوافذ ؟ »

ـ « لو كنت قلقًا على الأكسجين ، فاطمئن .. هذه الكائنات ظلت حية مما يدل على أن الهواء يدخل هنا .. لكننا سنموت جوعًا أو ظمأ قبل أن نختنق .. هل معك زجاجة إشعال الموقد؟ »

كانت معه فى حقيبة ظهره .. فناولها لى .. سكبت كمية محترمة من السائل على الصندوق الآخر ..

الجميل فى الموضوع هو أننا لن نضطر لفتح هذا الصندوق لو كان خطأ ..

أما لو كان هو الصحيح ، فقد انتهى الأمر .. لن نفتحه أبدًا ..

راحت ألسنة اللهب تتصاعد .. وبدأ الدخان يتكاثف لكن شيئًا لم يحدث .. لم نهلك ولم تزل اللعنة عن الكهوف ..

نظرت إلى (ويلارد) فوجدته يقف بعيدًا فى صمت وخشوع ينتظر اللحظة التى يحدث فيها شىء ..

فجأة سقط على ركبتيه وراح يسعل ..

هل هو الدخان ؟ جريت نحوه ووضعت يدى على كتفه .. فأبعدها عنه بعنف ..

ما هذا الدم فى يدى ؟

إن ... فهمت .. هذه آثار مخالب طويلة لا تمزح .. ومن يده بالذات !!

ـ « ماذا دهاك أيها الـ .... ؟ »

صاح فى جنون وتوحش بطريقة لم أعهدها من قبل :

ـ « ابتعد عنى !! إننى أتبدل ! ألا ترى هذا ؟ »

ولوح فى وجهى بيديه .. رأيتهما وسط سحب الدخان .. أظفار طويلة مفزعة سوداء كمخالب الدببة ..

ـ « ماذا حدث لك ؟ »

قال وهو يعتصر أعلى صدره :

ـ « لقد خدعنا الدرع .. أحرقنا الصندوق الخطأ .. وقد تحرر الشىء الذى بالداخل وحل فى ! إننى أشعر به الآن يزحف فى عروقى .. أنا أتحول إليه ! إننى مثله ! بل أنا هو ! (إكساديس)! الشيطان الذى يشبه الذئاب .. هذا هو ما قرأناه على الصندوق ! »

- « ولكن .. »

صرخ وهو يتلوى على الأرض :

- « معك الطبشور ! ارسم دائرة حولك واجلس فيها .. لاتتحرك !! صل وادع الله ألا يكتمل تحولى أو أموت قبل اكتماله ! »

هو لا يمزح .. أنا أعرف الذين يمزحون وأعرف أنهم لا يبدون بالضبط مثل هذا .. على الأقل لا تظهر لهم مخالب حادة .

كالملهوف ابتعدت عنه ورسمت على الأرض دائرة من الطبشور وأنا أتلو المعوذتين وآية الكرسى ..

كان يصرخ فترتج الجدران .. هذا تحول كتحولات المذءوبين .. لا شك فى هذا .. لم يعد لوجهه علاقة بوجهه القديم ..

صحت فيه وأنا أقف وسط الدائرة :

- « هل تحمينى الدائرة فعلاً ؟ »

- « لا ! هى فقط تؤخر النهاية ! لو كنت تفضل الموت معى على الموت جوعًا وعطشًا فلتغادرها .. آه ه ه ه ه !! »

وراح يضرب الأرض برأسه مرارًا ..

وهكذا جلست وسط الدائرة مسلطًا الكشاف عليه .. لقد فرغ الصندوق من الاحتراق وتحول إلى رماد ساخن .. الجو ملوث لا يمكن أن تتنفس معه من دون أن تحترق عيناك ..

هو يتلوى .. عدة مرات ضرب الصندوق المتفحم فهشم منه بعض الرماد ، لكنه لم يشعر بألم .. هذا مخلوق لا يبالى بالألم على الإطلاق ..

دسست قرصًا من دوائى تحت لسانى .. وطفقت أنتظر ..

الآن أنا حبيس فى غرفة بلا أبواب ولا نوافذ مع شىء يدعى (إكساديس) .. شىء حبسه (دراجوسان) فى هذا الصندوق من قرون ، وجعل تحرره مرهونًا باحتراق هذا الصندوق بالذات ..

إنه يدور حولى الآن .. عيناه تلتمعان كجمرتين من نار .. هو أقرب إلى المذءوبين الذين كنت أراهم فى جانب النجوم .. ضخم مخيف لا يمت بصلة إلى مذءوبى الأرض المهذبين شديدى الرقة ..

هو لا يجسر على تجاوز الدائرة .. فى هذه النقطة كان صادقًا .. لكن وماذا بعد ؟

لماذا يمزق صدره بيده ؟ هل هو متوحش إلى حد أنه لا يبالى بلحمه الخاص ؟ كلا .. إن دمه يسيل .. ومع قطرات دمه التى تسقط على الأرض تذوب خطوط الطبشور .. وهو يمارس هذا العمل بلا انقطاع ..

سأرسم دائرة أخرى أضيق .. لا مفر من هذا ..

وحتى لو نجحت فى إبقائه خارجها فكم من الوقت يمكن أن أتحمل وضعًا كهذا ؟ وكم من الوقت يمكن أن أتحمل الجوع والظمأ ونقص الأكسجين ؟

أكتب هذه السطور حيث جلست القرفصاء وسط الدائرة - بينما عواء الكائن يصم أذنى .. أكتبها كى يراها من يأتى بعدى ليعرف كيف انتهى الأمر .. وقد أوشك الكشاف على أن يموت قبلى لهذا أرجو أن يتحملنى فى هذا السطر الأخير ..

أما أنت أيها القارئ العزيز فلك أقول : الوداع ..

لا تلم نفسك من أجلى .. صحيح أننى تتبعت نصائحك الخاطئة من البداية ، وصحيح أن حظك العاثر جعلنى أختار هذا الصندوق .. لكن كيف كان بوسعك أن تعرف ؟

الأمر يشبه الاختيارات القدرية التى لا تعرف إلام تؤدى .. هل هذه الفتاة ستكون زوجة صالحة تزيل آلامك أم تكون كابوسًا إغريقيًا ؟

لا تعرف .. لا أحد من لحم ودم يعرف ..

الآن نفد الكشاف تمامًا ..

لا شىء الآن سوى الظلام وعينى الوحش ورائحة أنفاسه وزئيره ..

أعتقد أنه يزيل الآن الدائرة الأخيرة .. ولن أتمكن أبدًا من رسم أخرى ..

فلأكف عن الكتابة وأنتظر ..

[تمت]

سلسلة
الأعداد
الخاصة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفا[س]

من فرط الغموض والرعب والإث[ارة]



د. أحمد خالد توفيق

فى كهوف دراجوسان

هل هى قصة ؟.. ربما .. هل هى لعبة ؟ .. محتمل .. هل هى دعابة ؟ .. جائز .. إن كهوف (دراجوسان) المنسية تحتفظ بشىء واحد مخيف لكل واحد منا .. شىء واحد مُسلٍّ لكلٍّ منا ..

هذا الكتيب سيبقى معك أطول فترة ممكنة ، وربما تقرؤه عدة مرات ، لكن تظل بعض صفحاته مجهولة لك بالكامل .

أنت مسئول بالكامل عن اختياراتك .. أنت من يحدد مصير العجوز (رفعت إسماعيل) ، فتحلَّ بأفضل ما لديك من صبر وذكاء وحكمة ، وأنت تجتاز كهوف (دراجوسان) ...





الثمن فى مصر ٤٠٠ مـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم